شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية



الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ و معهدُ الآثارِ

الدولة السعودية التائهة تختنق في رحم الطائفية الوهابية

ثقافة الجرّافات الإسرائيلية بمكّة !



رحلة التيه:
الفيصل في باريس، وبندر في موسكو !



رؤية اثنولوجية للوهابية النجدية
دعوة للدولة أم دولة للدعوة؟

السادة والأشراف في الحجاز



الإصلاح المنسي في السعودية

السعودية تحرق يديها بطرابلس



لبنان: فشل سعودي مزمن

تسويق سعودي للوهابية (الليبرالية) !



بندر: واشنطن تريده ملكاً !

ألم سعودي: لهم الأرض، ولنا الفضاء !



السعودية ولعنة بوش

هـذا الـعـدد

دولة (لا أدري)

يجنح للمناكفة أو السلامة من يتصوّر أن سياسات الدولة عموماً وسياستها الخارجية خصوصاً وفق رؤية واضحة، فلا شيء يرشد إلى هذه الدعوى. سلوك الطبقة الحاكمة يرد إلى الإنفعال اللحظوي مع الوقائع اليومية والمتغيرات المتسارعة، ويخيّل إلى ما يرقب الضجيج المتصاعد من حركة الأمراء في الخارج بأن ثمة ثماراً متراكمة بات من الصعوبة بمكان حصادها.

فكيف نستدل على الرؤية لدى الطبقة الحاكمة، إلا من خلال التوازن الموضوعي بين الثوابت والمتغيّرات والرئيسي والثانوي، أي العمل وفق أولويات واضحة ومعدّة بإتقان وتستهدف تحقيق غايات محددة. أليس الأمر كذلك في السياسة وفي مجالات الحياة عموماً؟

ندرك على وجه اليقين بأن قواعد اللعبة قد تبدّلت منذ الحادي عشر من سبتمبر، وأملت على الدول الحليفة للولايات المتحدة إجراء تعديلات جوهرية في نهجها السياسي العام، ولكن لم تكن تلك التعديلات على سبيل إصلاح أشكال الخلل المزمن في بنى الدولة، وإنما لجهة تخليق آليات جديدة في التعامل مع التحوّلات الجديدة في السياسة الدولية.

حسناً، كل شيء تبدّل في العالم، ولكن هل ذلك يقتضي السير في طريق يفضي إلى التيه، لمجرد كونه طريقاً والسلام، أم يقتضي السير في طريق يفجّر كل التناقضات الكامنة في الدولة؟

ثمة ما يغري باطمئنان وهمي لحامل مالي يجبر كسورات السياسة، وهو رهان ضعيف، يصعب التعويل عليه دائماً، وخصوصاً في مثل حالة الحكومة السعودية التي يصعب معها فحص المردود السياسي للهبات المالية التي تقدّمها لحلفائها العابرين المحليين والإقليميين وحتى الدوليين، ومن الغريب أن ليس هناك من على استعداد للدفاع عن مواقفها الى حد التضحية بمكاسب أخرى منظورة، يظهر ذلك بوضوح في لبنان والعراق وفلسطين. ففي هذه المواقع تفقد السعودية أوراقها وتحترق بسهولة، وذلك عائد ببساطة إلى انعدام الرؤية الإستراتيجية، فكل المال المدفوع في هذه المناطق يتبدد ببلاهة غالباً، حتى بات الحلفاء العابرون في هذه المواقع يستثمرون الرؤية المعدومة لجهة الإثراء من المال السهل.

دبلوماسية المال لا تعكس بالضرورة رؤية واضحة، خصوصاً حين تكون مصادر إنفاقه متعددة، فكيف إذا كان الماسكون بها ذوي نزوعات متنوّعة إن لم تكن متضاربة، وتعكس صراع الأجنحة داخل العائلة المالكة. مشكلة الطبقة الحاكمة أنها تتوسّل بطريقة بائسة في التجديد، إذ تعمد إلى تجديد أشكالها، دون المساس بالمنظومة الفكرية التي تستند إليها وهي المعنيّة بدرجة أساسية بالتجديد. وماعلاقة ذلك بالرؤية؟

الجواب ببساطة أن معرفة الرؤية يقتضي معرفة التفكير، إذ أن وضوح الرؤية يعتمد بدرجة أساسية على منظومة فكرية تنبىء عن نوع التفكير المهيمن على السياسة، ولا نعني بالمنظومة الفكرية تلك الأيديولوجية المشرعنة للدولة، وإن كانت تستبطنها، ولكن ما نعنيه بصورة شاملة هو تلك المبادىء العامة، والمحددات الأيديولوجية، والأهداف الكبرى التي تضبط المواقف والسياسات الخاصة بالدولة.

منذ سنوات وسؤال كبير يحوم حول السياسة الخارجية السعودية: إلى أين يقودها القائمون عليها؟ وماهي أغراضهم؟ وهل من يراجع تلك السياسة؟

الجواب غير الشافي يأتي على نحو كهذا: لا ندري، فثمة غيوم داكنة تحيط بالمركبة السياسية السعودية، لا يعرف وجهتها ومن يقودها. أمور مجهولة أو بالأحرى غير محسوبة بدقة تفرض نفسها على مواقف الطبقة الحاكمة، خصوصاً حين تأتي نتائج المواقف عكس توقعات هذه الطبقة. في لبنان، كما في العراق وفلسطين وحتى في خصوماتها مع سوريا وإيران، أو حتى تحالفاتها مع فرنسا وبريطانيا وصولاً إلى الولايات المتحدة، كل الرهانات السعودية باءت بفشل مثير للشفقة، بالنظر إلى التعويل الكبير على نتائج مأمولة جاءت الوقائع بأضدادها، بالرغم من الإستثمار المالي والدبلوماسي الهائل فيها.

مهما يكن، لا يمكن الفصل بين النتائج والمقدمات، فالسياسة الخارجية ليس كياناً معزولاً حتى يمكن تحميله وحده مسؤولية الإخفاق العام الذي أصاب الدولة، فهذا المجال ملتحم بمجالات أخرى، ولا يجب أن يذهلنا عن مجالات فشل أخرى في الداخل أيضاً.

أليس من المفارقات العجيبة، أن يعيش مايربو عن ٦٠ بالمئة من السكان في بيوت مستأجرة، في بلد يمتلك أكبر أكبر إحتياطي نفطي في العالم، ويزيد دخله القومي عن مداخيل ثلاثة أرباع الدول العربية مجتمعة، وأليس من المفارقات المذهلة أن تكون أكثر من ٧٠ بالمئة من المدارس الرسمية هي بيوت مستأجرة، وتزيد البطالة فيها عن ٢٠ بالمئة مع وجود أكثر من ستة ملايين عامل أجنبي. وما الخدمات الصحيّة والإجتماعية من هذه الأوضاع البائسة عنها ببعيد، حيث المستشفيات البائسة وانقطاع الماء والكهرباء عن مدن وأحياء بكاملها في المدن الكبرى، فكيف بالمناطق الأخرى.

أليس ذلك كله يعكس رؤية منعدمة لدى الطبقة الحاكمة، وهل نحن بحاجة إلى تأمل كبير في أوضاع الدولة حتى نتبيّن عمق الخلل. وإذا ما قدّر لك مساءلة من يمسك بزمام الأمر عن سبب ذلك كله جاءك الجواب: لا ندري، إذن من يدري عن أحوال الدولة، إذا كان من يديرها لا أدرياً!

نار الفتنة في (طرابلس)

السعودية تحرق يديها وأنصارها بالنار

محمد فلالي

استخدام الطائفية كسلاح من قبل السعودية ليس دائماً يأتي في صالحها.

هي تعتقد أنه ذخيرتها الكبرى، وسلاحها الأعظم، وحصنها الذي تلجأ إليه إذا ما ألمت بها الأنواء، وإذا ما فقدت خياراتها.

الدين عموماً ـ وبنسخته الوهابية ـ كان سلاحاً سعودياً ضد الخصوم.

لا ننس أن عبدالناصر كان (كافراً) حسب الفتاوى السعودية لأنه يدعو الى القومية العربية. فجيء بالحلف الإسلامي لمواجهة الرئيس المصري ولحماية السعودية ونفوذها. ولكن السعودية ـ كما تشاء الأقدار ـ تعود الى استخدام مفردات الخطاب القومي مرّة أخرى ولكن لتواجه فيه إيران (الفارسية الصفوية المجوسية، الخ).

والدين استخدم ضد القذافي أيضاً، وضد البعثيين في العراق (صدام وقبله البكر)، وضد السوفيات، ولم تكن السعودية بحاجة الى استخدام اللغة (الطائفية) حينها لأن الشاه (الشيعي) كان حليفاً للغرب، وكان معادياً لعبدالناصر والتوجّه القومي الذي اكتسح مواقع الإستعمار في جنوب الجزيرة العربية وشرقها كما في شمال أفريقيا (ثورة الجزائر).

لكن بمجرد أن ظهرت عمامة دينية في طهران، صار الموضوع طائفياً، وتذكّر صدام حسين والسعودية ومصر السادات كما مصر مبارك، أن هناك ثلاث جزر احتلها الفرس المجوس! وهي جزر استولى عليها الشاه ولكن لا أحد طرحها يومئذ طالما أنه حليف لأميركا والغرب. أما اليوم فيراد من النظام الديني في طهران، أن يظهر أمام شعبه (مفرطاً) بما يعتقد أنه حقّه، وأن يتنازل عن الجزر، التي صارت مثل مسمار جحا، لكي يثبت أنه يختلف عن اسرائيل (لا يحتل اراضٍ عربية). بل أن السعوديين تجاوزوا المسألة هذه الأيام، وعيّنوا أميراً سعودياً لهم ينسّق مع الوهابيين لإثارة العرب الإيرانيين ضد نظام الحكم الفارسي في طهران، ولإدخالهم في المذهب (الوهابي).

وهناك أموال كثيرة تصبّ على هذا الطريق، الذي صارت فيه المفارقة عرباً مقابل فرس، حتى وإن كان العرب الإيرانيون شيعة!

اللعبة الطائفية التي تعمل عليها السعودية نجحت ـ بلا شك ـ في فترة الثمانينيات الميلادية أثناء الحرب العراقية الإيرانية، فقد تعاضدت البعثية العراقية مع الطائفية الوهابية لتسوير إيران بدرع طائفي/ قومي، يجيز حربها واحتلال أراضيها، بحجة الدفاع عن البوابة الشرقية، وفعلاً نجح السعوديون في تشويه صورة النظام في إيران من خلال اللعب على وتري الطائفية والقومية.

تحولت في تلك الفترة لجان مكافحة التنصير في رابطة العالم الإسلامي، الى لجان مكافحة التشيّع، فكراً وسياسة، وشنّت الحملات ضارية على الشيعة في السعودية والخليج وغيرها. وهذا نجاح باهر بلا شك، ولكن الى حين. لقد انقلب صدّام على مموليه الخليجيين واحتلّ الكويت، فسلّ سيف الإسلام السعودي (الصدئ) هذه المرة ليحارب الى جانبهم، جنباً الى جنب القوات الأميركية والغربية التي أخرجته من الكويت. لكن هذا تمّ بدون عاطفة ودعم شعبي عربي أو إسلامي، فقد وقفت معظم الحركات الإسلامية والجماعات المذهبية التي ناصرتها السعودية ومولتها طيلة عقود الى جانب صدّام وليس الى جانب السعودية. لم يكن الأمر حباً في صدام، ولكن بغضاً للإميركيين.

النجاح الذي تحقّق للسعودية في محاصرة إيران في الثمانينيات، لا يبدو أنه قابل للنجاح هذه المرّة لا في العراق ولا في لبنان.

والسبب أن السعودية ابتداءً استهلكت سمعتها الدينية خلال العقدين الماضيين، وأصبح النظام السعودي في عين أكثرية المسلمين، نظاماً فاسداً وعميلاً، ولا يمثّل حكم الإسلام. وقد انعكس الموقف على المؤسسة الدينية الوهابية الرسمية، التي فقدت الكثير من مكانتها لوقوفها مع النظام السعودي الداعم لأميركا في احتلال أفغانستان والعراق، وصار المشايخ الوهابيون المعادون للنظام مثل ابن لادن والقاعدة ومن يتبعهم من المشايخ، أو المشايخ الذين وضعوا حدوداً بينهم وبين النظام، هم من يمثل (الوهابية) بنظر أكثرية الوهابيين في خارج المملكة. ولذا لم تعد السعودية قادرة على إشعال المعارك حسبما تريد وفي أي وقت تريد، أي أن معاركها الطائفية لم تلق اجماعاً مثلما كان في الماضي.

والسبب الثاني هو أن السعودية اليوم غيرها في أواخر السبعينيات الميلادية الماضية، فالنظام العربي مفكك، والسعودية مصنّفة ضمن خانة المعتدلين الموالين لأميركا، وهناك دول وجماعات عديدة لا تتفق والموقف السياسي السعودي، وهي تنظر الى معارك السعودية الطائفية بعين سياسية لا تقبل بها أو لا تشجعها أو لا تمضي فيها، رغم إلحاح السعودية. إن غياب الإجماع العربي، وغياب الدور السعودي انعكس على قدرة السعودية على الحشد، فهناك أكثر من نظام عربي لا يأبه لآل سعود، ولا يدعمهم، بل يعتبرهم خصماً. ولا يمكن والحال هذه أن تستطيع السعودية بمؤسستها الدينية وإعلامها الرديء الذي فتح أكثر من معركة مع أكثر من نظام عربي أن تنجح في حربها الطائفية.

والسبب الثالث، ان مكانة الوهابية في العالم الإسلامي تقلّصت الى حدود بعيدة. فأكثر الدول صنعت لها مرجعياتها الدينية المحلية، ولم تعد ترى في الوهابية والسعودية قبلتها، ولم تعد تقبل حتى بآرائها في مواضيع الهلال والعيد! زد على ذلك، فإن الوهابية ـ وحسب تجربة السنوات الماضية ـ انطوت على قدر هائل من العنف صار مخيفاً لأي بلد ومجتمع عربي أو إسلامي. بحيث صارت الوهابية غير مرحب بها لعنفها، ولتخلّفها وتخلف رموزها الفكري والثقافي وتحجرهما بشكل بات مزعجاً للجميع.

والسبب الرابع، هو أن المعركة التي يراها المواطن العادي في العالمين العربي والإسلامي

هي مع أميركا، خاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وبعد احتلال أفغانستان والعراق، وبعد حرب اسرائيل على لبنان في تموز ٢٠٠٦، وبعد حصار غزة وحماس. العدو في المخيال العربي/ الإسلامي هو أميركا والغرب واسرائيل. وتحويل المعركة طائفياً، ضد إيران وحزب الله والقيادات الشيعية في العراق، يحتاج الى جهود جبّارة لا تستطيع السعودية إيفاءها، وتحتاج الى مناخ غير متوتر مع أميركا واسرائيل والغرب. والحال هو أن لا عدو أمام العرب والمسلمين اليوم غير هؤلاء، ولا توجد حماسة كبيرة لدى الشارع العربي والإسلامي للدخول في معارك أهلية على أسس طائفية، أو معارك سياسية طائفية يعلم الجميع أن مصلحتها تتجه الى أعداء العرب والمسلمين، ويقوم عليها نظام لا مانع لديه من التنسيق مع اسرائيل في الحرب، ولا مانع لديه من تحويل وجهة الصراع من اسرائيل الى إيران.

وإذا أتينا الى نتائج المعركة الطائفية التي أشعلتها السعودية في العراق، فإننا نجد السعوديين ـ وإن كانوا أعداءً للقاعدة ـ إلا أنه كان لديهم الكثير من المرونة لرفدها بالمال والرجال، بل وتصدير عنفيي الوهابية من الداخل السعودي ليحاربوا الشيعة في العراق، تحت غطاء طائفي واضح، وليس تحت غطاء مقاومة الإحتلال. وهذا ما أشار إليه رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية الشيخ صالح اللحيدان، وما أشار اليه عدد من القيادات الحركية الوهابية كسفر الحوالي وعشرات آخرين وقعوا على عرائض تجيز (الجهاد) في العراق. ولا يحسبن أحدٌ أن الهدف هو مواجهة الإحتلال، فالسعودية ـ دون غيرها من الدول ـ لم تكن تأبه باحتلال العراق بل ساعدت عل احتلاله، وإن ما يثير الوهابيين أكثر من أي أمر آخر هو صعود العامل الشيعي العربي في العراق.

العنف والدم والقتل والتفجيرات وكل مفردات السواد جاءت من مقاتلين سعوديين (وهابيين) مع ملاحظة أن الوهابية أقليّة في السعودية نفسها. وأين ما اتجهت رأيت أموالاً سعودية، ليس غرضها طرد الإحتلال وإنما قلب المعادلة الطائفية في العراق. والنتيجة أن سالت بحور من الدماء لا تستطيع أن تستبين المجرم من الضحية، فكلهم مجرمون وضحايا معاً.. والضربة القاصمة كانت على رأس المدنيين الذين فتك بهم الوهابيون سواء كانوا شيعة ام سنّة.

ماذا حصلت السعودية بتبنيها نهج الحرب الطائفية المفتوحة الإعلامية والعسكرية والسياسية، والتي لاتزال بقاياها قائمة حتى الآن؟!

لقد أدّت الحرب الطائفية بين الشيعة والسنّة، الى حرب فتّت السنّة أنفسهم. وإذا كان الجسد الشيعي ـ تاريخياً وبحكم أكثريته ـ أكثر قدرة على امتصاص الخسائر، فإن السنّة عانوا اضعاف ما عاناه الشيعة، من تهجير وقتل على يد القاعدة وعلى يد المتطرفين الشيعة ايضاً، وزيادة على ذلك على يد قوات الإحتلال الأميركية.

لم تفد الحرب الطائفية السعودية شيئاً. لم تبن السعودية مكاناً لها في العراق. بل تعتبر السعودية بالنسبة للأكثرية العراقية شيعية وسنيّة (بما فيها الكردية) العدو الأكبر لها، ويمكن ملاحظة ذلك حتى في الإعلام العراقي الشعبي من مختلف توجهاته.

السعودية بعد تلك الحرب لم تصنع لها مركز نفوذ، أو أصدقاء، لا بين الطبقة السياسية السنيّة، ولا الشيعية ولا الكردية. كل ما لديها مجرد علاقات عامة وقليلة مع بعض القيادات التي ينتظر أن تقضي عليها الإنتخابات القادمة. وهي قيادات استلهمت من السعودية حسّها الطائفية، وسوف تستقيل بسبب تبعات استخدام العنف والطائفية (عدنان الدليمي مثالاً) أو حتى حارث الضاري.

وزيادة على هذا، فإن السعودية تراجعت مكانتها حتى في عين أصدقائها الأميركيين، الذين أدركوا أنها لا تستطيع ان تفيد العراق في المستقبل، ولم يعد مهماً إن اعترفت بالوضع القائم وفتحت سفارتها ببغداد أم لا. السعودية اليوم تغرد خارج السرب، وليت تغريدها خارجه كان بسبب مواجهة مع الأميركيين، بل كان بسبب لعبها الدور الأكبر في تأجيج العنف الطائفي في العراق.

هكذا خسرت السعودية إمكانية أن يكون لها نفوذ في العراق في المدى المنظور.

أما إذا أتينا الى لبنان، فإن استخدام سلاح الطائفية أكثر صعوبة. ففي لبنان لا تستطيع أن تتهم الشيعة بأنهم (عملاء للمحتل الأميركي أو الإسرائيلي) فهم رأس الحربة في مواجهته. خاصة إذا ما جاء الإتهام من إعلام بلد مثل السعودية المعروفة بعلاقاتها الحميمة مع الأميركي والإسرائيلي خاصة بعد حرب تموز. السعودية وجدت نفسها خاسرة بعد مراهنتها على الحرب الإسرائيلية مقابل (مغامرة) حزب الله. كان لا بدّ أن تتحرّك العصبية الطائفية لتعوّض النقص السياسي السعودي، ولم يكن هناك سوى تمويل جهات تقوم بحرب حزب الله. تعرض نصر الله لأكثر من محاولة اغتيال، وجرى تمويل الوهابيين في نهر البارد بالمال والسلاح والرجال من السعودية كما هو معلوم. وبدل ان تفتح المعركة ضد حزب الله انفتحت على الدولة اللبنانية نفسها، فأضرّت تيار المستقبل المتهم بتمويلها، وأضرّت بمكانة السعودية في لبنان. لم تكف السعودية عن لعبتها، فحرّكت طرابلس بعد أحداث ٧ أيار، وقد كتبنا في هذه المجلة أن السعودية ستشعلها حرباً طائفية من الشمال، ولم نكن نخمّن في الهواء، فالعقل السعودي مكبوس في إطار طائفي، ومن لا سلاح له إلا المال والتطييف، فإنه سيستخدمه، وهذا ما حصل.

لكن مشكلة طرابلس أنها بعيدة عن حزب الله في بيروت والجنوب. إذن لتكن الحرب ضد العلويين وعلى يد الوهابيين الذين تعلموا في السعودية من أمثال الشيخ الشهال. لكن الحرب وبدل أن تضعف العدو السوري أو الحزب اللهي، أشعلت فتنة سنية ـ سنية داخل طرابلس نفسها. الأمر الذي أدى الى زيارة وزير الخارجية المصري وتحذيره من نار الأصولية الوهابية، ثم تبع ذلك تصريحات في ذات الإتجاه لوليد جنبلاط، وحتى الإتحاد الأوروبي نصح الحريري والسعودية بأن اعتماد الحرب الطائفية استناداً الى الوهابيين في طرابلس تعني تهديداً لموقعه وموقع السعودية.

ولما خرجت الحرب عن إطارها، بادر الحريري بضغط أوروبي أميركي عليه وعلى حلفائه السعوديين لجمع الرماد قبل أن يصب عليه الماء. فعقد اتفاق لا يعلم إن كان سينجح أم لا. إذ من السهل أن تستثير عواطف الوهابيين في حروب كهذه، لأن الوهابية لا تحتاج الى تهييج طائفي، فهي مهيّجة وجاهزة للإستعمال. لكن الصعب هو تبريدها، ولا نظن أن الحريري ولا السعودية قادران على ضبط الإنفلات الوهابي بعد أن جرى تحشيده ودعمه بالسلاح والمال حتى الأسنان.

ماذا كسبت السعودية من لبنان؟ هل تغير موقعها ومكانتها الى الأحسن؟ لقد خسرت السعودية أكثر وأكثر من مواقعها وسمعتها، كما خسر حليفها المستقبل/ الحريري الكثير من مواقعه حتى بين حلفائه المسيحيين والدروز. الحرب الطائفية التي أشعلتها السعودية في لبنان خاصة في طرابلس أحرقت أيدي السعوديين وستحرقهم أكثر كما ستحرق كل من يستخدم الوهابية في حروب طائفية كأداة في العمل السياسي.

فليس كل مرّة تسلم الجرّة.

السعودية التائهة

الإختناق في (رحم) الطائفية

عمر المالكي

مالذي يجعل دولة ذات إمكانيات هائلة معنوية ومادية مثل المملكة السعودية غير قادرة على مواجهة التحديات التي تواجهها داخلياً وخارجياً؟ مالذي يجعلها تتدحرج من أعلى الجبل في تسارع مذهل الى بطن الوادي مكسّرة مهشّمة معطوبة كثيرة الجراح؟ مالذي يجعل منها دولة تعيش رد الأفعال دون مبادرة. دولة شبه ميّتة، تثير شفقة منافسيها وأعدائها؟!

الأسباب كثيرة بلا شك. فالإمكانات لا تصنع المعاجز في هذا الزمن، وفي غيره. عدم القدرة على الإستجابة للتحديات يعود الى مشاكل هيكلية في بنية الدولة السعودية نفسها، وبعضها يعود الى حالة الغرور والصلف والتمتع بأحلام اليقظة. وبعضها يعود الى الجهل والعقلية الجامدة التي تدير الدولة.

هناك سببٌ أساس في كل هذا، وقد يكون أهم الأسباب: وهو الإنحصار الذهني والعملي في المربع الطائفي وعدم القدرة على رؤية الأشياء على حقيقتها، فضلا عن عدم القدرة على الفعل نفسه.

حين تكون الدولة السعودية مهووسة طائفياً، لا ترى الأحداث إلا بعين الطائفية، يصبح دين أميركا أقرب اليها من دين مواطنيها.

ويصبح العدو الإسرائيلي صديقاً مقابل المنافس المذهبي. ألم يقل ويكرر آل سعود في إعلامهم بأن إسرائيل أقلّ خطراً عليهم من إيران. وتصبح إمكانية الإلتقاء بأولمرت وبيريز وغيرهما أقلّ كلفة ـ من وجهة نظرهم ـ من لقاء (المغامر) حسن نصر الله، والمغامر الآخر خالد مشعل.

الطائفية الوهابية تعمي السياسي فيستبدل الأعداء، ويقدّر الأخطار حسب الرؤية الطائفية لا الرؤية السياسية أو المصلحة السياسية، ويقسّم الحلفاء والأعداء حسب القرب من مذهبه، ويكون تقسيمه حاداً لا يمكنه من فتح خطوط التواصل مع المختلف المذهبي الآخر. ولنأخذ مثالاً واضحاً، فالسعودية تتهم إيران بأن لها طموحات امبراطورية وربما طائفية، ولكن إيران لم تغلق ذهنيتها طائفياً، فهي تستخدم الكردي والعربي والسني والشيعي وحتى الوهابي، ألم تدأب أجهزة الإعلام السعودية على اتهام ايران بأنها تدعم القاعدة؟! لا أحد يستطيع أن يقول بأن إيران لا تتواصل مع السنّة في العالم العربي، وهذا يعني أن عقليتها مفتوحة (على مصالحها الخاصة). وفي المقابل انظر ماذا تفعل السعودية، لقد وضعت كل الشيعة في العالم، وبينها جزء من شعبها في قائمة الأعداء الخطرين، ولم تستطع أن تفتح لها كوّة صغيرة معهم، بحيث أن القطيعة الكاملة هي السياسة المعتمدة.

ومن يرى السياسة بعين طائفية، ويصبح مسكوناً بها، يصبح ضحيّة للطائفية نفسها. والسبب أنه لا يستطيع قراءة الأوضاع السياسية في المنطقة إلا بالعين الطائفية، ولا يعجبه من الأخبار والمعلومات إلا ما يتعلق بذلك الشأن الطائفي المتضخم لديه.

وقد رأينا العديد من السياسيين العرب: لبنانيين وعراقيين وحتى باكستانيين ويمنيين، ممن عرفوا (كيف تؤكل الكتف) يعزفون في زياراتهم للرياض وتصريحاتهم حول قضاياهم ومصالحهم السياسية، على الوتر الطائفي، الذي يستثير آل سعود ومشايخهم، من أجل تحصيل الدعم السياسي والمالي ومواجهة أزماتهم الخاصة. رأينا هذا عند علي عبدالله صالح في أزمة الحوثيين مثلاً، ورأينا المسألة ذاتها عند القوى السنيّة في العراق، وبعضها لا علاقة له بأي مشروع إسلامي، بل هم بعثيون قدامى، ورأينا ذلك في تيار المستقبل في لبنان.

ولأن السعوديين مهووسون بالطائفية ومعاركها، انفتحت أذهانهم على أخبار لا يصدّقها عاقل، ولكن الطائفي يصدّقها وبسهولة جداً، فالخطر الطائفي يتضخّم كثيراً، والمعلومات التي حوله والتي هي في أكثرها إشاعات تجد لها آذاناً عند الطائفيين يصدقونها، مثل: حزب الله عميل لإسرائيل! وأن ما تدعيه إيران من منجزات كله كذب، وأن النظام هناك على شفا الإنهيار، وأن كل القيادات العراقية الشيعية إما إيرانية أو تجنّست بالجنسية الإيرانية، أو مثل أن البصرة صارت مدينة فارسية، أو أن إيران دفعت بثلاثة ملايين من شعبها الى العراق ليشاركوا في الإنتخابات، أو غير ذلك من الأقاويل.

ليست المشكلة في الكذبة نفسها، وإنما في تصديق السياسي السعودي لها، وبالتالي يبني عليها حساباته ومواقفه، ويجادل بشأنها ضيوفه، مثلما جادل الملك السعودي وولي عهده زلماي خليل زاد يوم كان سفيراً لأميركا في العراق بشأن بعض الإشاعات التي ذكرناها آنفاً.

وإذا كانت المعلومات مغلوطة، والرؤية مشوشة لا ترى إلا عدواً واحداً، ولا تلتفت الى



خسارة السعودية نزيف حاد!

مصلحة الدولة ولا الى احتمالات اخرى أو رؤى أخرى تحصّن بها الدولة مصالحها، فإنك تجد قادة الدولة يتخبطون لا يعلمون ماذا يصنعون، وعلى ماذا يراهنون من سياسات وأشخاص، ويصابون بالدوار إزاء التطورات المتسارعة من حولهم وهم غير قادرين على فعل شيء. فال سعود المشغولون بالآخر الطائفي لا يستطيعون النظر الى أبعد من أرنبة أنفهم، ولا يمكنهم فعل شيء سوى ردود الفعل والتخريب وإثارة العواطف الطائفية، فهي سلاح الفاشلين الذين يريدون الركوب على موجه

ليصبحوا زعماء العالم العربي وأسياد الوضع الإقليمي.

(الصندوق الطائفي الوهابي) خنق الدولة السعودية في الداخل، وشوّش رؤيتها الى الخارج، ورسم حدوداً قاطعة بين الأصدقاء والأعداء المتوهمين، حتى أن المرء ليعجب وهو يقرأ الآراء الوهابية وهي تنادي بالتعاون مع اسرائيل لضرب إيران وحزب الله وسوريا. وليت هذا الأمر بقي عند حد هؤلاء الجهلة، ولكنه تسرّب الى آل سعود أنفسهم، إن لم يكن هؤلاء الأخيرين هم من روّج الى ذلك، وبالتالي رأينا أولويات السعودية في إسقاط نظام الأسد، وليس فك الحصار الخانق عن غزّة. ولذا رأينا كيف أن السعودية تنفق ـ وتعلن عن ذلك ـ مليارات الدولارات لتمويل الحروب الطائفية في لبنان في حين يشكو صديقهم محمود عباس الضائقة الإقتصادية فلا يجد سوى الإتحاد الأوروبي!

دول الخليج الصغيرة، وكذلك الأردن ومصر، ممن يراعون الموقف السعودي وعدم الإبتعاد عنه، وجدوا أنفسهم أخيراً في مستنقع لا يستطيعون إلا أن يهربوا منه. فالطائفية السعودية لا حدود لجنونها وغبائها. ولذا بادروا بفتح سفاراتهم في العراق كخطوة أولى، وحاول بعض الخليجيين تهدئة الموقف مع ايران وعدم الزج بدولهم في حرب أميركية ضدّها لا تعود عليهم بمنفعة، في حين بقي الموقف السعودي جامداً على حاله في رؤيته الطائفية للأوضاع السياسية، وشيئاً فشيئاً أخذ يستشعر العزلة حتى من أصدقائه.

والأكثر غرابة في هذا، أن النخبة الطائفية السعودية الإعلامية والثقافية، وهي في معظمها نجدية، أي تنتمي الى نفس الخلفية الإجتماعية لآل سعود ومشايخهم الوهابيين، هذه النخبة مصابة بنفس الداء الطائفي، ولها تحليلات عجيبة غريبة، تجدها واضحة في كتابات طارق الحميد رئيس تحرير الشرق الأوسط، ومقالات عبدالرحمن الراشد مسؤول قناة العربية. حيث التحليلات السطحية، والروح المفعمة بالطائفية المشوّهة، والتعليقات التي تشبه الحروب، وكلّها تأتي كأساس في الرهان على تحشيد العرب طائفياً ضد حماس وسوريا وحزب الله وإيران وحكومة المالكي، على ما بين هؤلاء من اختلافات بيّنة.

يغيب عن هؤلاء (العميان طائفياً) أن الحروب الطائفية والصراعات الموتورة لا تخدم الداخل السعودي نفسه، إذ لا حدود للمعارك الطائفية ـ مثلما تراها السعودية نفسها. فحين تفتح حرباً طائفية شمال لبنان في طرابلس، مالذي يمنع امتداد تأثيرها الى الشيعة في المنطقة الشرقية السعودية؟ وحتى لو لم تنتقل الحرب الطائفية، كيف سينظر الشيعة في السعودية الى حكومتهم وهي تقود وتؤجج المشاعر الطائفية وتعتبرها أساساً في العلاقة بين الدولة والمواطن؟

الدولة السعودية مختنقة بشرنقة الطائفية، وزعماؤها يعتقدون بأن تلك الشرنقة توفر الحماية وتطيل أمد الحياة للدولة ولهم، وإزاء هذا لا ينتظرن أحدٌ في المدى المنظور إلا دولة متهافتة، مهما أوتيت من المال والإمكانات، وحتى لو احتكرت نظرياً الأرباح المعنوية من سيطرتها على الأماكن المقدّسة.

السعودية اليوم ترى نفسها معزولة أمام التحولات الكبرى في العالم وفي المنطقة. لا دوراً متميزاً لها في فلسطين (إلا بالسلب) ولا دور متميز لها في العراق (إلا بالسلب) ولا دور متميز لها في لبنان وغيره (إلا بالسلب) ولا مكان تسمع لها فيه صوتاً، اللهم إلا أصوات الفضائح والسمسرات وتمويل التطرف الوهابي داخلياً وخارجياً، حيث تحصد منتجات الوهابية الأرواح في بقاع عربية وعالمية عديدة.

ها هي حماس باقية مكانها، وها هو عباس يخسر كل يوم أرضاً.

ها هي سوريا تفك حلقات حصارها السياسي حلقة حلقة، وآخرها زيارة ساركوزي واجتماع رؤساء الدول الأربع (قطر وتركيا وفرنسا وسوريا) في دمشق. بل ها هو الرئيس الفرنسي يقول بأن (النادي) مفتوح للسعودية ومصر! وكأنه يضيف الملح الى الجرح.

وها هي السعودية في لبنان تحرض طائفياً كما ذكرنا وتوقعنا في أعداد سابقة، ولكن النار الوهابية في الشمال ستحرق حلفاء السعودية من تيار المستقبل قبل أن تحرق غيرهم.

وها هو العراق الذي تفننت فيه الوهابية السعودية قتلاً وتدميراً يستعيد بعض الأمن، ويعود العرب اليه بعد اعتمادهم رهان السعودية الخاسر. في حين لم يبق للسعودية سوى الإنتقام من السجناء العراقيين لديها تعذيباً وقتلاً، وسوى الصراخ طائفياً دفاعاً عن قوات الصحوة! التي كانت جزءً من القاعدة.

وها هي إيران وسوريا تقطفان ثمرة لم يحلما بها، بعد اشتداد المواجهة بين موسكو والغرب، فإذا ببندر بن سلطان يسارع لشراء مواقف روسية لصالح سياسات سعودية إقليمية، ولكنه يعود بخفي حنين.

السعودية صارت لاعباً أضعف حتى من قطر!

يا لسخرية الأقدار.

ولكن هذا ما جنته السياسات الطائفية، وما ستجنيه لاحقاً.

على السعوديين أن يخرجوا من أسر الصندوق الطائفي حتى يتنفسوا هواءً نظيفاً، وحتى تصلح رؤيتهم للأمور والأشخاص، ولتتعدل مواقفهم السياسية بناء على مصالحهم المادية لا على مصالح الوهابية الطائفية. فالوهابية تخسر معركتها حتى في الداخل السعودي وبين أتباعها، فكيف بها أن تنجح في الخارج في غير التخريب والتدمير؟

من هو المعتدل؟

خالد صاغية

(المعتدلون العرب) معتدلون تعريفاً. لكنّهم غير معتدلين في نظرتهم إلى إيران، لأنّ الأخيرة، برأيهم، تريد إلغاء الاعتدال في العالم العربي عبر إقامة (هلال شيعي) يقسّم المنطقة تبعاً للمذاهب. وهم غير معتدلين في نظرتهم إلى قسم من مواطنيهم الذين ينتمون إلى الطائفة الشيعيّة، لأنّ هؤلاء الأخيرين، برأيهم، مجرّد (جاليات) في الوطن العربي يسعون لنصرة دولة إيران غير المعتدلة. وهم غير معتدلين في نظرتهم إلى الإسلاميّين، لأنّ هؤلاء، برأيهم، ينتظرون اللحظة المناسبة للانقضاض على الاعتدال في المجتمع. وهم غير معتدلين في نظرتهم إلى الحركات المقاومة لأنّ المقاومين غير معتدلين في نظرتهم إلى الصراع العربي الإسرائيلي. وهم غير معتدلين في نظرتهم إلى سوريا، لأنّ الأخيرة تدعم المقاومة ولا تشجّع على الاعتدال. وهم غير معتدلين في نظرتهم إلى الاعتدال الأوروبي الذي بدأ بالانفتاح على سوريا. لكن، رغم ذلك، (المعتدلون العرب)، تعريفاً، معتدلون.

على المقلب الآخر، ثمّة دولة تُدعى سوريا. لا تدّعي الدولة الاعتدال، ولا عُرف عن نظامها ذلك أصلاً، لا اليوم ولا قبل أربعين عاماً. فُرضت عليها العزلة نتيجة ابتعادها عن محور الاعتدال، وتبدو علاقتها بجيرانها اليوم كالآتي: إيران دولة صديقة، يسعى الفرنسيّون لإقناع سوريا بالتوسّط لديها لحثّها على معالجة ملفّها النووي. تركيا، هي الأخرى دولة صديقة، تؤدّي دور الوسيط في مفاوضات غير مباشرة بين سوريا وإسرائيل. لم تمانع سوريا في مفاوضة إسرائيل، من دون أن تتخلّى عن نقاط قوّتها في هذه المفاوضات. أمّا العراق، الذي كان في حال قطيعة تامّة مع سوريا استمرّت سنوات طويلة، فأصبح يرسل موفدين يطلبون تدخّلاً سوريّاً للمساعدة في إحلال الأمن في بلاد ما بين النهرين. وفي لبنان، انسحب الجيش السوري، ورغم كل تجاوزات ذاك الجيش في المرحلة السابقة، لبنان كلّه ينادي بعلاقات مميّزة، شرط أن تكون ندّيّة. والمغالون في عدائهم لسوريا ليسوا في وضع سياسي وشعبي يُحسَدون عليه.

قد يختلط الأمر على المشاهد. قد تبدو سوريا اليوم في موقع الاعتدال. قد يكون ذلك وليد سياسات سوريا نفسها، وقد لا يكون، لكنّه بالتأكيد نتيجة السياسات الطائشة لمحور (الاعتدال).

الأخبار اللبنانية، ٢٠٠٨/٩/٥

لقاءات متواصلة بين الرياض وتل أبيب

ترتيبات السرّ تفوق التطبيع العلني

محمد السباعي

منذ سبتمبر ٢٠٠٦، بدأت قصة العلاقة السعودية الإسرائيلية تكشف عن معالمها الأولية والتي ماكان لغير حرب تموز على لبنان أن تميط لثاماً كثيفاً عنها رغم ما قدّر لعمق تلك العلاقة من سرية كبيرة، كما كشفت عنها وثيقة صادرة عن لجنة أميركية مشتركة مؤلفة من موظفين متخصّصين في وزارة الخارجية الأميركية والكونغرس في بداية عهد الرئس بيل كلينتون سنة ١٩٩٣. الوثيقة تحدّثت عن روابط غير اعتيادية بين تل أبيب والرياض، ولم يقدّر لغير حرب تموز ٢٠٠٦ أن ترفع الغطاء جزئياً عن ذلك التنسيق الفريد بين الدولتين خلال الحرب بحيث تقدّم الرياض غطاءً سياسياً وإعلامياً وتالياً مالياً لعدوان إسرائيلي على لبنان.

في سبتمبر ٢٠٠٦، بدأ المراقبون للشأن السعودي وللعلاقات بين الرياض وتل أبيب يتابعون بقدر كبير من الإهتمام ما يحاول الجانب السعودي إخفاءه، فيما يسعى الإسرائيلي إلى البوح به ما أمكنه ذلك، إعتقاداً منه بأن العلاقه معه لا يجب أن تتخذ شكل العار الذي يهرب ويبرأ منه الآخرون.

بعد أسابيع من وقف الأعمال العدائية بين لبنان والدولة العبرية في ١٤ أغسطس ٢٠٠٦، نشرت وسائل إعلام إسرائيلية وغربية أنباء عن لقاءات سريّة جمعت بين رئيس مجلس الأمن الوطني الأمير بندر بن سلطان مع مسؤولين إسرائيليين كبار تم تحديد هوية إثنين منهم وهما رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ورئيس جهاز الموساد مائير داغان، فيما تمت تسمية أماكن اللقاء منها: عمان وشرم الشيخ.

نتف الأخبار التي ظهرت لاحقاً ألمحت إلى أن أجواء جديدة تسود علاقات الدولتين، ولم يكن ظهور مندوبة صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية أورلي أزولاي في العاصمة السعودية بمرافقة بان كي مون وخلال القمة العربية التي انعقدت في الرياض في مارس ٢٠٠٧، ثم إنضمامها الى فريق الإعلاميين المصاحب للرئيس الأميركي جورج بوش في يناير الماضي، وكان الإستقبال في كليهما حاراً، عبّرت عنه المندوبة الإسرائيلية في الرابع عشر من يناير الماضي بالقول (وجدت نفسي في الفرع المؤقت ليديعوت أحرونوت في الرياض).

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد حصلت المندوبة الإسرائيلية على بطاقة صحافة سعودية رسمية صادرة من وزارة الإعلام السعودية، وأن ثلاثة مقدّمين في التلفزيون السعودي طلبوا مقابلتها في بث حي، إضافة إلى أحاديث وديّة جرت داخل قاعات مغلقة.

لم تكن هذه الوقائع تجري بهذه الوتيرة السريعة لو لم تسبقها وقائع أخرى كثيرة وبالغة الأهمية تقضي السماح لمندوبة إسرائيلية بالقدوم الى الرياض، ولو لم يكن قد جرى شيء كبير بين المسؤولين في الدولتين العبرية والسعودية.

وما إن أطلّ شهر سبتمبر برأسه حتى جاء بمعطيات جديدة حول لقاءات بين مسؤولين إسرائيليين وسعوديين في بلد ثالث. وكما في المرات السابقة، فإن الصحافة الإسرائيلية (تتبرع) بإذاعة خبر اللقاءات، بإيحاء من المسؤولين الإسرائيليين الذين يصرّون على لقاءات علنية، كجزء من عملية التطبيع المطلوبة إسرائيلياً.

المبرر الأشد إلحاحاً لعقد مؤتمر حوار الأديان هو الحضور الإسرائيلي، وتهيئة الأجواء لقبول الحوار الممهّد للتطبيع مع الدولة العبرية

اللقاء الأخير، بحسب مصادر سياسية إسرائيلية، لم يتطرق لطبيعة العلاقات بين الدلوتين، بل تركّز في بحث التطوّرات في المنطقة. المسؤول الإسرائيلي الذي كان يتحدث لصحيفة (هآرتس) في سياق تعقيب على مشاركة الحاخام اليهودي الإسرائيلي دافيد روزين من القدس في مؤتمر حوار الأديان الذي انعقد في مدريد في يوليو الماضي. وكان الحاخام الإسرائيلي قد صافح الملك عبد الله وعرّف نفسه بأنه (حاخام من القدس الشريف). وقال الحاخام لصحيفة (هآرتس) في ٢٣ يوليو الماضي بأن (السعوديين معنيون بالهدوء في المنطقة إلا أنهم كعادتهم يتحركون ببطء). وتوقّع الحاخام الإسرائيلي أن (تتضح معاني المؤتمر أكثر مع تواصل اللقاءات).

وكان الحاخام روزين قد تلقى دعوة مباشرة من السعودية، وبحسب صحيفة جيروزالين بوست في ٣ يوليو الماضي فإن روزين هو الحاخام الوحيد الذي يسكن في إسرائيل الذي يتم دعوته من جانب الملك عبد الله ورابطة العالم الإسلامي لحضور مؤتمر حوار الأديان في مدريد بين ١٦ ـ ١٨ يوليو الماضي. وقال روزين بأن السعوديين (يستعدون للقمة الكبيرة على مراحل. وفي ما يبدو، فان توجيه الدعوة الى احد الحاخامين الاسرائيليين الرئيسيين سيكون خطوة كبيرة جدا بالنسبة الى السعوديين. ولكنني آمل بانهم سيصلون الى تلك الخطوة في النهاية).

نشير الى أن روزين يشغل مناصب عليا في الدولة العبرية، منها تروّسه اللجنة اليهودية الدولية للمشاورات بين الاديان هي ائتلاف واسع من منظمات وجهات تمثل يهود العالم في علاقاتهم مع اديان اخرى. ويرأس روزين ايضا العلاقات بين الاديان للجنة اليهودية الاميركية ويحتل منصب مستشار للحاخامية الكبرى في إسرائيل لشؤون الحوار مع الأديان ورئيس المجلس اليهودي العالمي للعلاقات بين الأديان، وقد تم توجيه الدعوة السعودية إليه بالإسم وعن سابق معرفة بدوره ومنصبه. وقد تحدّث الحاخام في لقائه مع الملك بالعربية بوصفه حاخاماً من (القدس)، مشيراً الى أن وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل قال له إنه كان من المهم أن يحضر المؤتمر بل إنه أوصى التلفزيون الرسمي السعودي بإجراء مقابلة معه.

وفي وقفة تأمل مع أغراض مؤتمر مدريد لحوار الأديان، أمكن القول بأنه لو كان هناك مبرر قوي وشديد الإلحاح بشأن عقد مؤتمر لحوار الأديان تموّله وتشرف عليه السعودية فإنه الحضور اليهودي، وتهيئة الأجواء لقبول الحوار الممهّد للتطبيع مع الدولة العبرية. لم يكن هناك من مشكلة واجهت الحوار الإسلامي المسيحي، فقد انعقدت عشرات بل مئات

الحوارات الضيّقة والموسّعة بين علماء الديانتين، ولكن ثمة من تنبّه إلى أن التطبيع السياسي والثقافي والإقتصادي بين الدولة العبرية والدول العربية يبدأ من المسؤولين عن إنتاج المشروعية الدينية للدول، وهم العلماء الذين بدورهم يضطلعوا بمهمة توفير الغطاء الديني للتطبيع مع الدولة العبرية عبر عناوين مورد قبول وشائع مثل الحوار.

عودة الى سياق الموضوع حول اللقاء السعودي الإسرائيلي، فقد كشفت صحيفة هآرتس في ٢٠ يوليو الماضي عن اقتراح سعودي إسرائيلي لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين يلغي حق العودة من أجندة التفاوض الإسرائيلي الفلسطيني. وقال الصحيفة بأن لقاءً جرى بين رجل الأعمال اليهودي الأمريكي دانيال أبرامس المقرب من أولمرت مع الملك السعودي قبل خمس سنوات عندما كان وليا للعهد قام فيه بدور الوسيط بين الرياض وتل أبيب وتوصلوا عبر هذه الوساطة إلى اتفاق يشكل حلاً يعتمد المال كحل لمشكلة اللاجئين!.

وينص الاقتراح، بحسب الصحيفة، على أن يتخلى الفلسطينيون نهائياً عن أراضيهم مقابل أن تعطى لهم أراضي بديلة داخل الأرض المحتلة، وهذا ما بدأ أولمرت بالتلميح إليه في مفاوضاته مع عباس عارضاً عليه جزءاً كبيراً من صحراء النقب مقابل التخلي تماماً عن أي حق في أراضي المستوطنات الكبرى وكان رئيس المكتب السياسي في حركة حماس خالد مشعل قد أكد أن حق العودة هو ملك للشعب الفلسطيني ولا يحق لأي زعيم التصرف فيه لأنه ليس ملكا له وليس ملكا لأبيه على حد تعبير مشعل.

اللافت في التطوّرات المتسارعة في العلاقة بين الرياض وتل أبيب، برز في تساؤل صحيفة (هآرتس) في ٢٠ يوليو الماضي: هل قررت المملكة العربية السعودية تغيير علاقتها بإسرائيل، وذلك في ضوء عدد من الإشارات حول تصدع العداء الرسمي بين الدولتين؟

هذا السؤال لم يعتمد فحسب على مشاركة حاخام إسرائيلي في مؤتمر حوار الأديان فحسب، بل يستدعي جملة اللقاءات السرية التي جرت بين مسؤولين سعوديين وإسرائيليين وبصورة منتظمة منذ سبتمبر ٢٠٠٦ وحتى اللحظة. وذكرت (هآرتس) عن لقاء سري عقد في دولة ثالثة فضّلت عدم تسميتها بين مسؤولين سعوديين وإسرائيليين نوقشت خلاله سيناريوهات الأحداث في المنطقة.

من جهة ثانية، ذكرت (هآرتس) عن إشارة لافتة تمثّلت في قيام موقع (إيلاف) الالكتروني الذي يديره عثمان العمير المقرّب من العائلة المالكة، قبل أسابيع بإرسال طلب رسمي إلى مكتب الصحافة الحكومي الإسرائيلي، لمنح بطاقة صحافي لمراسله في إسرائيل نضال وتد.

ونقلت الصحيفة عن رئيس المكتب الصحافي الحكومي أن (إيلاف) ليس وسيلة الإعلام السعودية الوحيدة التي تقدمت بطلبات مماثلة، مشيرة الى أن العديد من وسائل الإعلام السعودية وبينها صحيفة (الشرق الأوسط)، تجري مقابلات مع مسؤولين إسرائيليين. وأجرت مقابلة مماثلة عبر مراسلها في إسرائيل نظير مجلي، مع رئيس الوزراء إيهود أولمرت مطلع يوليو الماضي.

يذكر أن صحيفة (هآرتس) كانت قد نشرت أنباء عن لقاءات تنسيقية بين مسؤولين إسرائيليين وسعوديين فيما يتصل بمواجهة إيران وإحتمال قيام الدولة العبرية بتوجيه ضربة عسكرية ضد المنشآت النووية الإيرانية. وكان مسؤولون إسرائيليون ذكروا في ديسمبر ٢٠٠٧ بأن السعودية تشجّع إسرائيل على الضغط داخل الولايات المتحدة من أجل القيام بعمل عسكري ضد إيران من أجل كسر نفوذها في المنطقة، وتخريب ما حققه حزب الله في لبنان من صد للعدوان الإسرائيلي، بما يسمح بإعادة ترتيب لأوضاع إقليمية كبرى في العراق ولبنان وفلسطين وحتى سوريا التي كانت الرياض تخطط مع تل أبيب من أجل إطاحة النظام الحاكم فيها.

من جهة ثانية، كشفت صحيفة (المنار) الفلسطينية في ١٣ أغسطس الماضي عن اجتماعات سرية مكثفة عقدتها قيادات سياسية وأمنية سعودية مع قيادات يهودية في الولايات المتحدة خلال الأسابيع الثلاثة الاخيرة تناولت الصراع العربي الاسرائيلي والدور السعودي في التأثير على الموقف الفلسطيني من افكار طرحتها هذه القيادات اليهودية.

واشارت المصادر الى ان مبعوثين إسرائيليين تواجدوا في تلك الفترة في الولايات المتحدة، والتقوا إثنين من المسؤولين السعوديين يشغلان مناصب أمنية رفيعة، وأحدهما عضو في هيئة التنسيق الأمني السرية التي شكلتها الولايات المتحدة في المنطقة.

الرهان الإسرائيلي يقوم على إعتراف سعودي بالدولة العبرية ويكون مدخلاً لتنازلات باهظة أولها إسقاط حق العودة والتوطين

واكدت المصادر، بحسب الصحيفة، أن السعودية أبدت استعداداً كاملاً للتأثير على القيادة الفلسطينية والمساهمة بشكل كبير في حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في حال اتفقت الأطراف المعنية على حل لهذه المشكلة، وأضافت المصادر أن المسؤولين السعوديين أبلغوا القيادات اليهودية أن الرياض ستقوم قريباً بإجراء تعديلات جوهرية على مبادرة السلام العربية وإعادة طرحها من جديد لكسب تأييد عربي لها.

وكانت الصحيفة قد ذكرت في ٢٨ أغسطس الماضي بان مشاورات تعقدها الرياض والقاهرة من جهة مع دمشق لتعديل المبادرة العربية. ونقلت الصحيفة عن مصادر دبلوماسية أوروبية أن معسكر الاعتدال العربي يخشى من فقدان الأمل بإحداث تقدّم في عملية السلام وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي، ولذلك، تقوم دول هذا المعسكر وبشكل خاص مصر والسعودية باتصالات لاعادة تغليف (تعديل) المبادرة العربية للسلام وإعادة طرحها بشكل يتلاءم مع التطورات والواقع الحالي في المنطقة، وأشارت المصادر الى أن العلاقات بين القاهرة ودمشق والرياض سوف تشهد تطورا خلال الأيام القادمة بهدف إشراك سوريا الرئيسة الحالية للقمة العربية في الجهود التي تبذل لإعادة طرح المبادرة العربية للسلام بشكلها الجديد، وسوف تحاول السعودية ومصر الحصول على تأييد غالبية الدول العربية للمبادرة في شكلها الجديد والتي ستعرض على الإدارة الامريكية الجديدة فور دخولها البيت الأبيض. ونقلت الصحيفة عن تلك المصادر قولها بأن الدول العربية المعنية ستعمل على دفع الإدارة الامريكية القادمة إلى لعب دور كبير في رعاية عملية السلام في الشرق الاوسط منذ لحظة دخولها البيت الأبيض، وأنها لن تنتظر حتى تطرح هذه الإدارة مبادرة سلام جديدة.

وكشفت المصادر للصحيفة بأن مستشارين سياسيين كبار من السعودية ومصر أجروا إتصالات وعقدوا لقاءات مع مسؤولين كبار مختصين في شؤون الشرق الاوسط من الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة، ومع بعض مساعدي المرشحين للرئاسة في محاولة لجس نبضهما ومعرفة رغباتهما في المرحلة القادمة اتجاه الأوضاع في المنطقة. وقالت المصادر أن هذه الإتصالات الأولية لم تنضج عنها بعد رؤية نهائية لطبيعة التغيرات التي سيتم إدخالها على المبادرة العربية التي من المتوقع أن تستكمل باشراك القيادة السورية. وحسب المصادر الدبلوماسية، فإن القيادة السورية تؤيّد الخروج بمبادرة عربية للسلام تشكل الموقف الرسمي للدول العربية في التفاوض مع اسرائيل، وأن تعمل الولايات المتحدة وأوروبا على رعاية ذلك، على أن يكون التفاوض بشكل جماعي دون الإنفراد بالمسارات المختلفة.

وترى المصادر أن هذا التوجه لدى الدول العربية، يأتي في أعقاب تأكيدات بفشل المبادرة الأمريكية للسلام التي انطلقت في انابوليس، إلا أن فكرة إدخال تغييرات وتعديلات على المبادرة العربية ليس بالأمر الجديد وأن العديد من الأطراف العربية اقترحت ذلك في السابق.

الجدير بالذكر أن رهاناً إسرائيلياً بقي حاكماً على المبادرة العربية وكذلك اللقاءات والإتصالات المنتظمة بين مسؤولين إسرائيليين وقيادات عربية في معسكر الاعتدال، ويتمثّل هذا الرهان في اعتراف سعودي علني بالدولة العبرية. وكانت صحيفة (يديعون أحرونوت) ذكرت في أبريل الماضي بأن مسؤولين إسرائيليين أوضحوا لنظرائهم الأميركيين بأن إسرائيل معنيّة بأن تعترف السعودية بوجودها قبل المؤتمر المزمع عقده في الخريف القادم، ذلك أنه من دون اعتراف كهذا لن يكون من الممكن البحث في المواضيع المرتبطة بالتسوية الدائمة.

بين القدس ومكة

ثقافة الجرّفات بين تل أبيب والرياض

محمد قستي

صورة بالغة تحكي قصة زوال تاريخ وحلول آخر لا ينتمي إلى التربة التي حضنت صفوة الخلق، وفيما يزحف الحجر المستورد كيما يشكّل المشهد الجديد في المدينة المقدّسة، تعمل آلة الدمار بكل شراسة على هدم بقية آثار لنا تركتها أجيال يتقدّمهم جيل الصحابة الأوائل، وأهل البيت النبوي، وتتلوهم أجيال من القادة والزعماء والعلماء والوجهاء الذين وضعوا بصمات لافتة في سجّلنا التراثي وذاكرتنا التاريخية المفعمة بكل أشكال العز والفخر. كل شيء بات تحت طائل الإندثار في الديار المقدّسة، حيث تتسلل أذرعة الحقد لطمس كل ما له صلة بتربتنا، وصخرنا، ومناخنا، ومياهنا، وسنحتنا، وذاكرتنا، وشمسنا وشجرنا، بمعنى آخر طمس ما هو في تاريخنا التليد من آثار الرجال العظام، وعبقات الدين المجيد.

صورتان تفاجئان الزائر للمدينتين المقدّستين: الأولى تتمثل في ارتفاع المباني وناطحات السحاب التي تكفّلت بناءها شركات أجنبية بوجوه محلية وعربية، مبان تتربص بالبيت العتيق، وتحيط به من كل جانب، والأخرى تتمثل في صورة الجرّافات التي تذكّرنا بجرافات العدو الإسرائيلي وهي تهدم بيوت السكان الأصليين، وتزيل الآثار الدينية المحيطة بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

منذ أكثر من عقدين، تعمل في قبلتي المسلمين الأولى والثانية آلتان بلا توقّف، فالجرافات التي تهدم آثار الإسلام في مكة المكرمة بمثابة رجع صدى لصرير الجرافات الإسرائيلية وهي تمدّ ذراعها التدميرية لتخترق المساكن من سقوفها وتهدّها على رؤوس أصحابها أو تضعهم في قائمة المشرّدين..

في مكة المكرمة، الجرافات تمارس وظيفة مماثلة حيث يرغم فرقاء الشر الأهالي على إخلاء مساكنهم عنوة مع ترضية زهيدة، أو مصادرة أملاك السكّان، أما ما يخص آثار المسلمين من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وبيوت زوجاته، وأهل بيته وصحابته، فإن الجرافات العمياء تغرز مزنجرة في جذور وعينا التارخي، فلا يبقى منه إلا ذكريات في صدور الرجال وعقولهم ممن حوّلوا أنفسهم إلى صندوق أسرار متنقل، وحرّاس على ذاكرة الأمة، يخافون أن يتخطّفهم الموت من بيننا، فتضيع آثار ليس هناك دليل على أماكنها سوى هؤلاء الرجال الأوفياء الذين يفترسهم الألم وهم يشهدون عملية محو منظّمة لتراث أمة بأسرها.

إن ثمة شبهاً واضحاً بين الجرافات الإسرائيلية ونظيرتها السعودية، فالوظيفة واحدة، والغاية أيضاً واحدة، فالهدم دالة على تلك الجرافات المجنونة التي تقتلع كل ماهو راسخ في تربة الآباء والأجداد، ويقع مشى عليها الأنبياء والصالحون، تختفي فجأة فتحيل الوجود التراثي الممتد في عمق الأرض إلى مجرد غبار يتطاير وأحجار تتبعثر لا تلبث أن تتكوّم في شاحنات أعدّت لنقلها بعيداً تمهيداً لغيابها النهائي عن الأنظار.

عين حاقدة على المرقد النبوي الشريف

ما فتيء المتشدّدون الوهابيون يعقدون النوايا ويحيكون الخطط القديمة المتجددة لهدم القبة النبوية الشريفة، وإزالة المرقد النبوي من داخل

الهدم تحوّل الى ثقافة لدى الأقلية الوهابية، وإن كان الهدم مخالفاً لسيرة السلف الصالح!، ما يبطن تخطيئاً وتأثيماً للصحابة رضوان الله عليهم

المسجد، إنه مخطط شغل ذهن الوهابيين منذ أن أعملوا آلات الهدم في الآثار الإسلامية بعد اجتياح المدينتين المقدّستين عام ١٨٠٤م. حتى اليوم، فإن ثمة نيّة مبيتة لهدم قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، مخطط يبدأ بهدم القبّة النبوية الشريفة وإخراج قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم من المسجد وتحطيم ضريحه ومنع الناس من زيارة قبره الشريف. نيّة أعلن عنها الوهابيون صراحة ووقف عليها كثير من المطّلعين على وقائع الغزو الوهابي للحجاز. فقد ذكر الجبرتي في تاريخه أنهم حاولوا أن يهدموا قبة النبي صلى الله عليه وسلم غير أن الضغوطات التي لقوها من قبل المسلمين حالت دون تنفيذ آل سعود هذا الإجراء الغاشم.

وكتب دوايت دونادلسون في سنة ١٩٣٣:(.. كان علماء الدين الوهابيون تواقين الى تهديم القبة ـ التي على مسجد الرسول ـ وإعادة بناء الحرم الشريف من دون إدخال القبر فيه، لكن إبن سعود إستعمل دهاءه السياسي للحيلولة دون ذلك، لئلا يثير عليه عداء العالم الإسلامي كله، وبذلك سلم قبر الرسول من العبث، ولكن حماسة الوهابيين الدينية سمح لها بأن تمارس ما تريده من العنف في تخريب الأضرحة والقبور الموجودة في البقيع).

ونقل أحد علماء الحجاز عن خطيب وهابي في الحرم النبوي الشريف في نهاية السبعينات وهو يتحدث بحرقة وحسرة ويقول (كان علينا أن نمنع الناس عن هذا المكان ولكن ماذا نصنع وقد غلب على أمرنا).

ثم تعبر الوهابية صراحة عن موقفها عبر أحد الاقلام الحاقدة، فقد قامت إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، برئاسة المفتي السابق الشيخ عبد العزيز إبن باز، بإصدار إذن تحت رقم ٥/٤٤١١ بتاريخ ١٤٠٠/٧/١١هـ لطباعة كتاب (تبديد الظلام وتنبيه النيام) لكاتب وهابي مقرّب من العائلة المالكة يدعى إبراهيم سليمان الجبهان والذي كشف فيه عن نوايا مبيّتة لدى الوهابيين مؤكداً على المخطط الوهابي ـ السعودي الرامي الى طمس معالم قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول هذا الكاتب: (نحن لاننكر أن بقاء البنية على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم مخالف لما أمر به الرسول) !!، ويضيف قائلاً (وإن إدخال قبره في المسجد ـ أي المسجد النبوي ـ أشد إثماً واعظم مخالفة)، وينتهي للقول بأن (سكوت المسلمين على بقاء هذه البنية لايصيرها أمراً مشروعاً)، (المصدر

الطبعة الثالثة ص ٣٨٩).

إذاً، هكذا يعبّر الوهابيون عن تقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاندري ماذا يضمر الوهابيون لقبر اسماعيل عليه السلام وإمه هاجر وهو في قلب المسجد الحرام وفي جوار الكعبة فهل المخطط الوهابي سيطال الكعبة ايضاً؟!! أهكذا يكرّم أفضل الإنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وهو ملاذ المسلمين ومنار العالمين ومنبع هداية المصلين ومنهل للمتعطشين وكهف الحائرين، وفي محضره الشريف يزدحم التائبون وتتقاطر على مرقده الشريف جموع المسلمين من أرجاء المعمورة كافة.

من المثير للغرابة والدهشة، أن آل سعود جهدوا في حفظ بعض الآثار غير الإسلامية، ومنها حصن كعب بن الأشرف رأس اليهود الذي اغتاله أحد الصحابة والتي كانت تدار في هذا الحصن المكائد والمخططات ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد الاسلام... قام آل سعود بحماية وحفظ هذا الحصن ونصبوا جنب هذا الحصن قطعة كتب عليها: (تحذير. منطقة آثار: يحظر التعدي عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكي رقم و/٢٦ وتاريخ ١٣٩٢/٦/١٢هـ).

وفي الوقت الذي يطلق آل سعود أيدي أنصارهم من الوهابيين لتهديم جميع الآثار الاسلامية في طول الجزيرة العربية وعرضها يقوم برصد مبالغ طائلة لحفظ آثار أسرة آل سعود، فقد انشأوا لهذا الغرض مؤسسة ضخمة تحت إسم (دارة الملك عبدالعزيز)، لحفظ آثاره الشخصية كسيوفه وخواتمه وساعته وأسلحته التي استخدمها وسيارته الخاصة وسرير نومه وحتى ألبسته، وقد أنشئت هذه المؤسسة بقرار ملكي صادر في ١٣٩٢/٨/٥هـ..وجاء في المادة الثالثة لنظام إنشائها ما يلي: (تقوم الدائرة تحقيقاً لأغراضها بالأمور التالية:

(وإنشاء قاعة تذكارية تضم كل ما يصوّر حياة الملك عبدالعزيز وآثار الدولة السعودية منذ نشأتها). وقد رصد لهذه المؤسسة ميزانية ضخمة ويوجد مقر كبير لها ومجلة بإسمها (مجلة الدارة)، كما يقام مهرجان سنوي باسمه لمدة إسبوع تحت اشراف المؤسسة، كما أنفقت الحكومة السعودية مبلغ ١٢ مليون ريال سعودي لصيانة قلعة واحدة في الدرعية كان لها دور في قيام الدولة السعودية.

أما آثار الإسلام في المدينتين المقدّستين فلم يبق منها الآن حسب المعماريين الحجازيين سوى ٥ بالمئة، فقد أزالت الجرافات الوهابية السعودية الآثار الإسلامية، وأصبحت هناك مهمة أخرى قديمة تتجدد بمرور الأيام، وهي هدم القبة النبوية وإزالة القبر الشريف من المسجد النبوي.

وآخر ما صدر عن المتزمتين في هذا الشأن، قد بسطه الكاتب عبد الله الشريف في مقالة له بعنوان (المسجد النبوي ووهم الوضع الخطأ!) والذي نشرته صحيفة (المدينة) في ٢٥ أغسطس الماضي. يعقد الشريف في مقالته مناظرة مع أولئك الذين مازالوا مسكونين بوهم عقدي. ويقول:

حينما توجَّه الأسئلة لمن يُظَن أنه أهل للفتوى، وهي تحمل في طياتها إما الإجابة المباشرة على السؤال، وغاية الطرح أخذ الموافقة عليه ممن يظن السائل أن إجابته أدعى للقبول، أو تشتمل على موقف هو في حد ذاته فتوى، يوحي به السائل لما يريد من المفتي له أن يجيبه به، فيتهم تيارًا أو جماعة بما ينفر عنها وعنه مما يدخل في نطاق المخالفات الشرعية، ليسمع ممن وُجِّه له السؤال قدحًا فيها وفيه، فالواجب على من وُجِّه إليه السؤال ألا يبادر بإجابة تحقيق رغبة السائل، وإنما عليه أن يرشده إلى أدب المستفتي الذي يسأل عنه ما يجهل أو ما يستشكل من مسائل العلم، ولا يجد عنده وضوحًا لها، فمثل من يطرح أسئلة كهذه لم يستفت في أمر يجهل الحكم فيه، ولديه إجابة جاهزة له.

فهذا اللون من الأسئلة في ما أظن إنما تفرزه ثقافة يراد لها أن تسود، عندها لكل سؤال جواب حاضر، مهما كانت القضية المعروضة شائكة ومعقدة، ومن هذا اللون سؤال استمعت إليه وأصغيت إلى إجابته في رحاب المسجد النبوي الشريف، حيث توجهت إلى مكان من المسجد قصي في التوسعة الأخيرة قريبًا من باب مكة لأداء صلاة العشاء، فتناهى إلى سمعي عبر مكبرات الصوت صوت شيخ يلقي درسًا، فلما انتهى من درسه قرب أذان العشاء بدأ في الإجابة على أسئلة رواد حلقته مستمرًا فيها حتى بعد رُفع أذان العشاء، وقد تكرر ذلك أيامًا متعددة، بحيث يشوش على المصلين والذاكرين إنتظارًا لصلاة العشاء، خاصة أنه يأتيهم عبر مكبرات الصوت، فهم مرغمون على الإستماع إلى ما يلقي الشيخ على تلاميذه، والذين لا يزيد عددهم على عدد أصابع اليدين إلا قليلاً.



المهم أني استمعت معهم مرغمًا إلى العديد من الأسئلة التي لها ذات الصيغة التي تحدثت عنها آنفًا، والإجابات المؤيدة لها، وكان أعظمها جرأة ما طرحه أحدهم كسؤال على الشيخ مستفتيًا عن ما نعته بالخطأ الجسيم الذي وقع قبل نهاية القرن الأول الهجري بإدخال قبر الرسول الكريم سيدنا محمد بن عبدالله إلى المسجد.

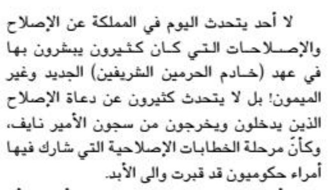
وتساءل: ألم يحن الوقت لتصحيح هذا الخطأ؟ وهو سؤال كما ترى اشتمل على جواب اقتنع به السائل وهو أن إدخال القبر إلى المسجد خطأ، وأن الخطأ يجب أن يزال، وإنما وجَّه السؤال ليحظى بما يؤيد موقفه المسبق من المسألة، ولكن من وُجِّه إليه السؤال لم يعترض على صوغه بهذه الصورة، وإنما وافق فوراً على مضمونه معتبراً أن إدخال حجرات أزواج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خطأ، وأن وجود القبر الذي هو في إحداها وهي حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بدعة إجترحها الأولون، وزعم أن من توافر آنذاك في المدينة من فقهاء التابعين إنما سكتوا دفعًا للفتنة، وذكر معلومة لم أسمع بها من قبل أن بعضهم قد قُتل لاعتراضه على ذلك، بل وطالب ولاة أمر هذه البلاد بأن يصححوا وضعاً اعتبره خطأ فيخرجوا القبر من المسجد، ودعا لهم أن يوفقوا إلى ذلك، وهكذا أسئلة والإجابة عليها بهذه الصورة أمر غريب يُسمح بطرحه في أحد الحرمين الشريفين؟ وهو يمتلئ بضيوف ووفود من جل أقطار العالم جاءوا للعمرة والزيارة ويسمعون ذلك عبر مكبرات الصوت فيظنون أن هناك توجيهًا رسمياً وشعبياً في هذا الوطن لتغيير وضع الحرم النبوي الشريف، الذي ظل عليه ما يقارب ثلاثة عشر قرنًا ونصف القرن، خاصة وأن الشيخ المتحدث زاد حديثًا عن ما أسماه بدعة القبة الخضراء، ونادى بتصحيح كل هذه الأخطاء المزعومة.

ونحن نعلم يقينًا أن بيننا من يعتنق مثل هذه الأفكار ولكننا نجزم أنهم أقلية، وهذه الأفكار إذا طرحت علناً في الحرمين الشريفين تناقلها زوارهما وبلغت الآفاق، وتكرار طرحها باستمرار أزعم أن صداه غير مرغوب فيه، ولا أحد في هذا الوطن يسعى إليه، فهلا كف هؤلاء عن ترديد مثل هذه الأقوال التي ضررها - ولاشك - على بلادنا عظيم، ونصيحتنا لهم أن يتداركوا أخطاءهم حتى لا يثيروا فتنة، فلعلهم يقبلون النصيحة، فقضايا الأمة التي يحتاج العلماء أن يتحدثوا فيها لا حصر لها مما له نفع يعود على الرمسلمين.. فهلا شغلوا أنفسهم بها؟ ذاك ما نرجوه والله ولي التوفيق.

ما لم تسمح به مساحة التعبير في الصحيفة، وما انطوت عليه عبارات الشريف في مقالته وهو يستعرض ما جاء على لسان السائل والمجيب في موضوع القبة النبوية الشريفة وقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، هو أن الهدم تحوّل الى ثقافة لدى الأقلية الوهابية، ومن الغريب أن سيرة السلف الصالح لم يتم اعتمادها في هذا المقام، بالرغم من أن وجود القبر داخل المسجد كان منذ القرن الهجري الأول، فهل الموقف الوهابي يبطن تخطيئاً وتأثيماً لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم!

أميركا: (الإستقرار) وليس (الديمقراطية)

الإصلاح المنسي في السعودية



عبدالحميد قدس

لا أحد يتحدث اليوم في المملكة عن الإصلاح والإصلاحات التي كان كثيرون يبشرون بها في عهد (خادم الحرمين الشريفين) الجديد وغير الميمون! بل لا يتحدث كثيرون عن دعاة الإصلاح الذين يدخلون ويخرجون من سجون الأمير نايف، وكأنّ مرحلة الخطابات الإصلاحية التي شارك فيها أمراء حكوميون قد قبرت والى الأبد.

الأجواء السياسية في المملكة شأنها شأن نظيرتها في الأقاليم المجاورة، تغيب عنها مفردات الإصلاح ودمقرطة الشرق الأوسط وعصر الحريات وحقوق الإنسان وغير ذلك من المفردات التي أطرب الأميركيون رؤوسنا بها.

لم تكن السعودية بدعاً في هذا الشأن، فقادتها أدركوا أن سيف الضغط الذي سلّط على رؤوسهم من قبل الغرب (من أجل الإبتزاز) قد تمّ رفعه مقابل التنازل في مواقف سياسية إقليمية (فلسطين ولبنان وإيران وغيرها) ومقابل رشوات ضخمة كانت عبارة عن صفقات أسلحة وعقود استراتيجية بلغت قيمتها عشرات المليارات، بل جاوزت المائتي مليار دولار، حسب إحصاءات البنك الدولي.

لم يعد آل سعود، ولا حسني مبارك، ولا حاكم تونس ولا غيرهم بحاجة الى أن يجادلوا الغرب بان الديمقراطية ستأتي بـ(الأصولية) الى الحكم مكانهم! أو أن الديمقراطية ستأتي بـ (أعداء اميركا) وتقوض استقرار الأنظمة المعتدلة. فأميركا قد قررت ومعها الغرب كله أن موضوع الديمقراطية مؤجل الى أجل غير مسمّى.

بعد ٩/١١، بدا أن أميركا أرادت أن تجرب الدعوة الى الديمقراطية في حريمها السياسي بين الأنظمة المعتدلة في الشرق الأوسط، ولكن التيار الصهيوني وحكام اسرائيل حذروا بأن شرق أوسط غير ديمقراطي أهون من شرق اوسط أصولي أو معاد للغرب. وأن المطلوب ـ حسب نصائح كسينجر المنشورة ـ هو الإستقرار للأنظمة المعتدلة والحليفة للغرب، وليس الحريات والديمقراطية أو أنصافها حتى. الديمقراطية في الشرق الأوسط لا تخدم الغرب، ولا الأنظمة الحليفة والمستبدّة، ولكن بوش وبعض طاقمه تصوّر في لحظة سكر ما بعد أحداث ٩/١١ أن الإرهاب القادم من الدول الصديقة المعتدلة، لا يمكن إيقافه إلا بشيء من الإنفتاح والديمقراطية وصيانة حقوق الإنسان حتى يمكن القضاء على مفرخات الإرهاب من جذورها، خاصة تلك الآتية من السعودية.

الآن تراجع عن الموضوع كما تراجع حلفاؤه الغربيون. لتذهب الديمقراطية في جهنم. المهم استمرار المصالح، ولكن لا مانع من استخدام دعاوى الديمقراطية وحقوق الإنسان ضد الدول الممانعة أو (المارقة) كما يصفها بوش إن كانت في إيران أو السودان أو سوريا. وكأن الديمقراطية مصانة جداً في بلاد مبارك وآل سعود وأضرابهم. وكأن بلداً مثل إيران توالى على رئاستها ستة رؤساء بالإنتخاب تشبه مصر التي لم يتغير زعيمها حتى الآن، أو مثل السعودية التي غيّر الموت ملكها بعد أن كان حاكماً مطلق اليد لثلاثين عاماً (١٩٧٥-٢٠٠٥).

اليوم انطفأ صوت الدعوات الى الديمقراطية والليبرالية، اللهم إلا النزر اليسير في موضوع حقوق الإنسان وهو موضوع لازال ملتصقاً بالمواقف السياسية الغربية أكثر من كونه محايداً حقيقياً. ولذا ترى الحملة السياسية على الصين أو روسيا او إيران أو كوريا الشمالية او سوريا أو السودان أو كوبا مترافقة مع سيل من انتقادات حقوقية، وهي كلام حق يراد به باطل.

الدول الغربية اليوم معنية بمصالحها في السعودية وفق قاعدة أساسية وهي ضمان استقرار هذه الدولة، وعلى اساس ان الحريات الجزئية وربع الديمقراطية يمكن أن تؤدي الى خسائر للغرب وللنظام الحليف.

ولأن آل سعود يدركون مجاري مياه السياسة الدولية، فإنهم فكّوا قيودهم منذ سنوات وأخذوا يتفنّنون في تكميم الأفواه السياسية والدينية، عبر الإعتقالات وحجب المواقع، والتحقيق في المباحث، والفصل من الوظائف والمنع من السفر وغيرها. تشعر الحكومة ـ خاصة وزارة الداخلية ـ بأنها في موقع قوة وتستطيع أن تفعل ما تريد، وأن تعيد المواطنين الى الوراء الى ما قبل ٩/١١!

لا عجب، فقد صدق تحليل الأمير نايف حين قال علناً بأن ما يحتاجه هو (صبر ساعة). أي لنتحمل ـ كآل سعود ـ الضغوط قليلاً، فإنها ستنقشع. ربما كان يعلم أن الغرب مجرد منافق كبير ويتاجر بالديمقراطية وحقوق الإنسان، وأنه سيرضخ لمعادلات المصالح في نهاية الأمر، وأنه لن يجد أفضل من هذه الأنظمة القائمة حامياً لها، وأن الحريات خطر على أميركا كما هي خطر على حلفاء أميركا، كما كان يعتقد ـ صادقاً ـ الرئيس حسني مبارك.

هل يسمع أحد من المواطنين السعوديين اليوم صوتاً مسؤولاً أو نصف مسؤول عن ضرورة الإصلاح، وعن ضرورة وجود دستور، وعن انتخابات المناطق، أو انتخاب نصف أو ربع أعضاء مجلس الشورى المعيّن، بل هل يسمع أحدٌ تأكيداً من الحكومة بأنها ستواصل (ربع انتخاباتها) البلدية التي يفترض أن تتجدد في النصف الأول من العام القادم ٢٠٠٩؟!

هل سمع أحدٌ منكم صوتاً للأمير طلال، أو للملك الذي لا يعرف قراءة البسملة وربما حتى إسمه يؤكد أنه سيقوم بإصلاح ما قبل أن يختطفه الموت؟ بالطبع لن تسمعوا شيئاً من وزير الداخلية نايف، فهو ضد كل هذه (المهاترات) ولا يفهم لغة إلا العنف.

ولأن آل سعود أذكياء حقاً، فقد أشغلوا الشعب ـ والبلد في قمة التخمة المالية ـ بمشاكل مالية واقتصادية أتت على الطبقة الوسطى، حتى لا يستطيع أحدٌ مجرد التفكير في موضوع الإصلاحات. وكل الهدف هو إشغال الشعب المبتلى بنفسه. فسوق الأسهم تحصد الإهتمامات، وهي توقع الضحايا مالياً ونفسياً وجسدياً ولاتزال، وغلاء الأسعار أضاف الى قائمة الجياع أعداداً كبيرة أخرى، حتى أن أحد السلفيين (العواجي) حذّر من ثورة جياع في السعودية، ثم هناك أزمات مواد البناء كالحديد والإسمنت وغيرهما، بل حتى مياه الشرب صارت معضلة مزمنة في أكثر من مدينة كما في جدة ومكة، ووصل الأمر الى الرياض فكيف بغيرها!

الشعب مشغول بلقمة عيشه، والمثل يقول: (جوّع كلبك يتبعك). فأية إصلاحات يتحدث عنها، ومن سيتحدث عنها؟ أهم آل سعود، أم وهابيوهم، أم نجديوهم ممن يسيطرون على الدولة بقضها وقضيضها، ومنفعتهم جميعاً تقول (لا) كبيرة للإصلاحات التي تحصحص السلطة وتوزع الثروة بالعدل؟.

ربما تحدث انفجارات من نوع ما، ولكن الأمراء يدركون بأنهم قادرون على إخمادها بالقمع أو ببعض الفتات إن تطلّب الأمر.

كل عام وأنتم والإصلاحات بألف خير.

المالكي يرفض إدماجها في أجهزة الدولة

إرتباط مجالس الصحوة بالسعودية

محمد الأنصاري

هناك سبيل واحد لفهم غضب الحكومة السعودية من حكومة المالكي في حملة اعتقالات عناصر (الصحوة). الجواب واضح، هو الإرتباط السعودي بمجالس الصحوة. في مقابلة في ٢٣ أغسطس الماضي مع الباحث الأكاديمي المتخصص في الشؤون السعودية جريجوي جاوس تحت عنوان (السعوديون متلهفون للغاية لسماع وجهات نظر بوش حول إيران) قال فيها: (إن التطوّر اللافت في ٢٠٠٧ من وجهة النظر السعودية هو انبعاث مجالس الصحوة، في إتحاد قبلي وجماعات سنية ضد القاعدة والتعاون مع الولايات المتحدة. ليس لدينا أدلة كافية بهذا الصدد لأن السعوديين كتومون بهذا الشأن، ولكنني على ثقة تامة بأن السعوديين شجّعوا تلك المجالس بكل ما أتوا من نفوذ ومال. وأن مجالس الصحوة تلك هي نوع من الإمتداد الطبيعي للنفوذ السعودي داخل العراق).

ولكن هل تعتقد بأن ذلك من صنيعة السعوديين وحدهم، أي هل هي مبادرة مستقلة ومعزولة؟ الجواب يعكسه تقرير صحيفة (الحياة) السعودية في ٢٤ أغسطس: مجالس الصحوة بين الخلافات السياسية والمذهبية. وجاء في التقرير: أن قضية مستقبل مجالس الصحوة، والتي تعرّفها الصحيفة بـ (تشكيلات مسلحة من المقاتلين السنة) عادت الى الواجهة مجدداً بعد تسريبات رسمية أشار بعضها إلى إمكانية حل هذه المجالس واحتواء جزء منها في الأجهزة الامنية، فيما ذهبت أخرى الى وجود قوائم بمئات المطلوبين للقوى الأمنية داخل مجالس الصحوة. وتوقّع سياسيون تحوّلها الى قوى مناوئة في حال تخلي الحكومة عنها فور رحيل الاميركيين.

وبمقابل دعوة الأطراف السياسية السنية الى دمج تجربة الصحوة العشائرية في القوى الأمنية لا تزال أطراف سياسية شيعية تضغط لمنع قرار الدمج خشية اختراق جماعات مسلحة للمؤسسات الامنية.

ونقلت الصحيفة عن تقارير أمنية من محافظة ديالى أن القوات الأمنية أصدرت أوامر اعتقال بحق المئات من أعضاء مجالس الصحوة في المحافظة، كجزء من العمليات الأمنية التي يقوم بها الجيش العراقي هناك.

وقال المتحدث الرسمي بإسم وزارة الدفاع العراقية اللواء محمد العسكري لـ (الحياة) أن (الأجهزة الأمنية من الجيش والشرطة هي جهات تنفيذية للقانون، والأوامر التي صدرت من جهات قضائية باعتقال مطلوبين في المحافظة ليس للجيش والشرطة أي علاقة بها، إنما فقط لتنفيذ الواجبات المكلفة بها). وأضاف: (القانون فوق الجميع ولا يوجد أي شخص فوق القانون سواء من مجالس الصحوة أو من أي جهة أخرى حكومية كانت أم مدنية، وعندما تأتينا أوامر قضائية باعتقال مطلوبين ننفذها على الفور، والقضاء يتكفّل بحل الإشكالات مع المعتقلين وليس قوات الجيش والشرطة).

ونقلت الصحيفة عن مصادر برلمانية، أن ملف مجالس الصحوة والتنظيمات التي شكلتها القوات الاميركية لمحاربة تنظيم (القاعدة) في مناطق متفرقة من العراق، لايزال عالقا في أروقة مجلس الوزراء، وأنه لم يتم وضع حلول كفيلة لإنهائه من قبل اللجان الحكومية والبرلمانية التي تشكلت للنظر بهذا الملف الذي بدأت أوراقه تتبعثر نتيجة الإعتقالات المستمرة التي تقوم بها قوات الامن الحكومية لبعض قادة وعناصر هذا التشكيل المسلح.

وطرح مراقبون القضية مجددا في تزامن مع بحث الحكومة العراقية والادارة الامنية قضية جدولة الإنسحاب الأميركي واحتمال تحول هذه المجالس المدعومة أميركيا الى قوة مناوئة في حال تم تخلي الحكومة عنها. وما تحاول الصحيفة تفاديه في هذا الشأن، أن الهدف من إبقاء مجالس الصحوة ودمجها في الجيش والقوات المسلّحة هو تحوّلها الى قوة ضاربة داخل الدولة ومهدّدة لها، ويجري تمويلها من مصادر خارجية سعودية وإماراتية بدرجة أساسية، ولا تخضع تحت سلطة الدولة بصورة مباشرة، فقد وضعت إدارة لها في الإردن وترتبط قيادات مجالس الصحوة بالحكومة السعودية وبالأمير مقرن بن عبد العزيز، رئيس الاستخبارات العامة ويجري التنسيق بشأنها مع رئيس الوزراء العراقي الأسبق إياد علاوي.

وقد تنبّهت الأجهزة الأمنية العراقية وحكومة المالكي الى الإختراق الخطير في مجالس الصحوة من قبل قوى خارجية سعودية وأردنية وكذلك جهاز الإستخبارات المركزية الأميركية ما دفع قيادات وشخصيات سياسية عراقية الى معارضة الدعوات التي تنادي بضم أفراد مجالس الصحوة الى أجهزة الجيش والشرطة أو حتى إلى بعض المؤسسات الحكومية غير الأمنية، مؤكدة بأن تلك الشخصيات القيادية تضغط على وزراء كتلتها داخل مجلس الوزراء من أجل عدم الموافقة على أي قرار من شأنه أن يحقن الدولة بدماء فاسدة قد تؤدي في نهاية المطاف الى إفساد جسد الدولة، حسب تعبير مسؤول عراقي مقرّب من رئيس الوزراء نوري المالكي.

للسعودية، بطبيعة الحال، تفسيرها الخاص في معارضة وزراء في حكومة المالكي فكرة إدماج مجالس الصحوة في أجهزة الدولة العسكرية والأمنية، حيث يتم تصنيف القوى الداعية للإدماج على الجانب السني فيما يتم إدراج القوى الممانعة على الجانب الشيعي، الأمر الذي يعكس طبيعة التدخّل السعودي في هذا الملف العراقي بامتياز، كما يعكس صراع النفوذ والمصالح بين السعودية والقوى الأخرى المحلية والخارجية في العراق.



السعودية لاتزال ترى السياسة بعين طائفية

مصادر عراقية حكومية ذكرت بأن الإعتقالات طالت عناصر من الصحوة متورّطة في جرائم قتل ضد المدنيين، وبعضهم من مثيري الفتن، ومرتبطين بتنظيم القاعدة أو التنظيمات المتشددة المرتبطة بها. وكانت مصادرعسكرية عراقية حكومية ذكرت لصحيفة الحياة (في كل مرة تتحرك قوات الجيش العراقي لإلقاء القبض على مطلوبين بتهم قتل واختطاف وتهجير يتبين أن المتهمين من عناصر أو قيادات في مجالس الصحوة، وعند إلقاء القبض عليهم وإحضارهم الى المعسكرات تأتي قوة عسكرية أميركية وتطلق سراحهم وتأمر الضباط بعدم القيام بأي عملية اعتقال مستقبلاً بحق عناصر الصحوة).

للمانعة الأرض، وللإعتدال الفضاء!

صراخ الألم السعودي في مواجهة قوى الممانعة!

سامي فطاني

السعودية ـ دون باقي محور المعتدلين الذي يضم مصر والأردن والسلطة الفلسطينية ـ هي التي تصرخ وتشتم وتتهم وتهاجم في إعلامها الإمبراطوري.

لا نحتاج الى إثبات هذا.

إقرأ أية صحيفة سعودية، كالشرق الأوسط، أو الوطن، أو الرياض أو غيرها. أو لنقل تابع ما تنشره العربية، فماذا ترى؟

ترى توجيهاً طائفياً مقيتاً لكل النشاط السياسي المتوتر في المنطقة.

ترى السعودية رافعة الراية الأولى في التعرّض لحماس واتهامها في وطنيتها وضرورة الإستمرار في محاصرتها والنيل من قادتها.

وترى السعودية دون غيرها من يتعرّض المرة تلو الأخرى لدمشق ونظامها، وتغمزه مرة بالطائفية، ومرّة بالعمالة لإسرائيل (نعم العمالة لإسرائيل) ومرة ثالثة ببيع سوريا (لإيـران) ورابعة بتسقيط النظام السوري وتحويل أي جهد إيجابي يقوم به الى عمل سلبي وتخريبي.

وترى السعودية نفسها لا غيرها، هي التي تقود الكوارث في لبنان في طرابلس كما قبلها في نهر البارد. رموز الوهابية هم الصاعدون هذه الأيام، والأموال والتحريض يكبّ على تلك المنطقة من أجل الفتنة التي ستحرق السعودية قبل غيرها. وترى شتماً لحزب الله، واستسخافاً لتوجهه المقاوم، والطعن في شرعيته، واتهامه هو الاخر بالعمالة مرة لسوريا وأخرى لإيران وثالثة لإسرائيل!. ومرة يصبح نصر الله شارون مثلما قال سعود الفيصل قبل بضعة أشهر، ومرة أخرى يريد اختراق السنّة في لبنان لأنه حاول إيجاد صيغة تفاهم مع جناح سلفي فيه لم ترض السعودية عنه!

وإذا أتيت الى إيـران، فالسعودية هي قائدة الحملة ضدّها دون دول الخليج، ودون قوى الإعتدال الأخرى، فهي الناطقة بإسم العرب مقابل المجوس والصفويين، وهي الناطقة باسم الأكثرية السنية التي تريد الأقلية الشيعية ابتلاعها!، وإيران في الخطاب الإعلامي الرسمي (أخطر من إسرائيل) كما يكتب كاتبهم في الشرق الأوسـط طـارق الحميد، وكما يفتي مشايخ الوهابية الصغار. وإيران تريد أن تصنع امبراطورية، وتريد أن تدمر دول الخليج، وإيران لا تحب العرب، ولا تدعم القضية الفلسطينية، و..غير ذلك.

ليس هذا مدهشاً، أن تقود السعودية حملتها الفاشلة على قوى الممانعة في المنطقة. وليس غريباً عليها ـ وهي الفاشلة في المنافسة السياسية ـ أن تتكيء على خطاب طائفي هو بكل المقاييس السياسية والأخلاقية والعلمية (هابط.. هابط للغاية). ولكي تصدقوا اقرأوا مقالات طارق الحميد رئيس تحرير الشرق الأوسط! فستجدونها مقالات أدنى مرتبة حتى من تلك التي ينشرها الوهابيون المتطرفون على الإنترنت في موقع الساحات!

ما تفعله السعودية غير مستغرب منها، وإن كان مستنكراً.

المستغرب والمدهش حقّاً، ليس تراجع حلفاء السعودية في محور الإعتدال عن نهج السعودية فحسب، بل الأهم هو أن لا دمشق ولا طهران ولا حماس ولا حزب الله، فتح جبهة ضد السعودية على الصعيد الإعلامي والسياسي. بل وجد أن الحكومة العراقية رغم علاتها الكثيرة كانت أكثر جرأة على مواجهة السعودية في إعلامها المحلي وتصريحات سياسييها وأعضاء برلمانها.

لا نرى ردّاً مقابلاً على تهجمات السعودية وإعلامها، وكأن السعودية مدركة بأن ترسانتها الإعلامية لا تضاهى، ولا يستطيع أحدٌ أو يريد أحد أن يواجهها. وما يدعو للإستغراب أن السعودية تنتظر ولو كلمة من وسيلة إعلامية غير رسمية من سوريا أو إيران لتصعّد الموقف. فهذه الصحيفة محسوبة على النظام الفلاني وتلك على الآخر، وقد نالت من السعودية ومن قادتها الخ. ثم تتواصل الحملات الإعلامية بسعار أكثر من السابق.

ويبدو أن جناح الممانعة فطن الى أن السعودية تريد جرّه الى معاركها الإعلامية، فاختار العمل على الأرض، وترك للسعوديين الفضاء يصرخون فيه بما شاؤوا!

الإيرانيون الذين لا يفوتون تعليقاً على صحيفة أو رئيس دولة غربية أو قناة أميركية تجدهم يصمتون عن الغمز واللمز والتصريح ضدهم من إعلام السعودية ومن مسؤوليها كتصريحات سعود الفيصل. وإذا ما اضطروا الى الرد، فردّهم باهت بارد الى أبعد الحدود، في حين تتسم ردودهم على الأميركيين والغربيين والإسرائيليين بالحدّة والصرامة كما نسمعها وتسمعونها. بل وصل الحد بالإيرانيين الى حد السماح لقناة العربية بأن تهاجمهم من مكاتبها في طهران، في حين لم تسمح السعودية بفتح مكتب إعلامي لأي وسيلة إعلامية إيرانية في اراضيها. فما هو السرّ يا ترى؟!

هل هو الخوف من الماكنة الإعلامية السعودية؟ هل أن إعلام آل سعود غير مؤثر؟ هل هي الحكمة القائلة: فإذا ابتليت بجاهل كن عاقلاً/ وإذا ابتليت بعاقل لا تجهل؟!

السعوديون أنفسهم لا يفهمون لماذا لا يردّ الآخر عليهم. ربما تصوّروا ـ بسبب الإنتفاخ الوهمي والمرضي ـ أن لا أحد يجرؤ على مواجهتهم إعلامياً. وربما تصوّروا أن صراخهم الإعلامي يبقيهم ضمن دائرة الوهج السياسي ويجعلهم ضمن (دائرة القوة الإقليمية العظمى) كما يعتقدون. أو ربما اعتقدوا بأن الآخر يخشى عضلاتهم، وأنه لا يعرف عجزهم وضعفهم وفشلهم وحيرتهم في أكثر من صعيد وقضية. أو ربما لأن أقوى ما تملكه السعودية هو جهاز إعلامها الخاص

(الحياة/ الشرق الأوسط/ العربية وأخواتها/ وال بي سي) إضافة الى الإعـلام الممول لحلفائها وهو الطاغي في الساحة العربية، وبالتالي فإنها لا تستطيع أن تستعرض عضلاتها إلا في هذا المجال المتاح لها والذي لا يجاريها فيه أحد.

هل هذه هي الحقيقة؟!

بقدر ما تمتلك السعودية من إعلام، فإنها أكثر من يتأثر سلباً به. إن آل سعود يخشون من موقع على الشبكة العنكبوتية، ومن مقالة تظهر في هذه الصحيفة المنسية أو تلك، أو من تصريح ينشر في صحيفة غربية، أو من إشارة يقولها رئيس دولة مثل (أشباه الرجال). السعوديون المهووسون بالإعلام هم أكثر من يصدقه ويتأثر به ويخاف منه. كل ما لديهم غير قادر على تغيير الرأي العام العربي لصالح مشروعهم السياسي.

إذن لماذا سكوت حلف الإعتدال عن الردّ؟!

ببساطة لأن الجميع يدرك بأن صراخ السعودية دليل إفلاس سياسي، ودليل على أنها تصرخ من الألم عبر إعلامها وشتم معارضيها أو مخالفيها.

وببساطة أيضاً، لأن محور الممانعة أكثر وضوحاً في رؤيته السياسية، وأكثر إيماناً بموقفه وبقدراته في مواجهة التحديات، وبالتالي فإن الإعلام السعودي حتى وإن طغى فإنه لا يغير من المعادلات على أرض الواقع شيئاً.

وببساطة ثالثة، لا يريد خط الممانعة بأن يفتح معارك جانبية، أو لا يريد أن يخوض في أكثر من معركة في وقت واحد. فالمشغول بأميركا وتهديداتها بشن الحرب وإسقاط النظام في إيران ودمشق، والمشغول بالإستعداد لهجوم إسرائيلي على أراضيه كما في لبنان وغزة، لا متسع له في الوقت للمماحكات الإعلامية السعودية المفلسة. خط الممانعة لا يرى في السعودية عدواً مباشراً، ولكن السعودية ترى أنه عدوٌ مباشر.

وببساطة رابعة، لا يريد خط الممانعة قطع شعرة معاوية مع السعودية، وإن كانت الأخيرة في ذروة انفعالها مستعدة لذلك، كما هو واضح من مسلكها مع حماس ومع دمشق ومع حزب الله، لكنها تجنّبت إيران لما في ذلك من توتير لا تستطيع أن تجابهه في ظل ضعف الحليف الأميركي من جهة، ومن جهة ثانية تخشى من انعكاس التوتر المتصاعد مع ايران على وضع الشيعة في السعودية. فضلاً عن أن السعوديين يدركون ما بيد إيران من أسلحة، ومن الحمق جرّهم الى معركة عسكرية مفتوحة تسبب لهم الحرائق في أهم بقعة نفطية في العالم.

وببساطة خامسة، الجميع في حلف الإعتدال يدرك أنه هزم، بمن فيهم السعوديين، ولكن الأخيرين لا يريدون أن يعترفوا بقوانين اللعبة الجديدة التي تسببت فيها نصف هزيمة لأميركا واسرائيل وحلفائهما العرب. أما حلف الممانعة، فيرى السعودية مجرد تابع لأميركا واسرائيل، وأن ليس لها القدرة غير الصراخ والتخريب والتهديد بحروب طائفية، يدرك الجميع في الحلفين (عدا السعوديين) أنها ستحرق السعودية أكثر من غيرها.

وأخيراً فإن حلف الممانعة لازال يطمع بأن تغيّر السعودية سياستها في يوم ما. أي أن عدم فتح معركة حادّة معها قد يتيح لها بعض التراجع المشرّف الى الخندق القديم أو قريب منه. ومع أن هذا الإحتمال وارد بالنسبة لمصر والأردن ومحمود عباس، ودول الخليج الأخرى، فإن السعودية وحدها لاتزال (راكبة راسها!) والجميع ينتظر تهشّم أكثر لتلك الرأس اليابسة!



لمن الأرض، لمن الفضاء؟!

غير أن هذا كله لا يعني أن جناح الممانعة لا يرد بين الفينة والأخرى بصورة تشير وكأنها إرسال رسائل الى السعوديين. واحدة من الرسائل ما نشرته صحيفة الأخبار اللبنانية من أن السعودية دبرت في أواخر العام الماضي انقلاباً عسكرياً ضد سوريا. ومن الرسائل ما ذكره الأسد بعد لقائه الأخير بساركوزي وامير قطر ورئيس تركيا حين علق على الحرب المذهبية في طرابلس وتمويلها الخارجي (مشيراً الى السعودية). ومن رسائل الإمتعاض ما قررته الحكومة الايرانية بإغلاق مكتب قناة (العربية)، ولا تستطيع السعودية أن تزعم بأن إيران ليست بلداً حراً، إلا إذا كانت هي الأخرى بلداً غير حر، لأنها لا تسمح لوسائل الإعلام الإيرانية من العمل في أراضيها. ومن الرسائل الأخيرة ما نشرته صحيفة كيهان (اكبر الصحف الإيرانية) في ٠٨/٩/٦ نقلاً عن مصادر اسرائيلية قولها بأن السفارة السعودية متورطة في أعمال تجسس على إيران لصالح الأمريكيين والإسرائيليين. السفارة السعودية نفت الأمر وطلبت من الصحيفة نشر نفيها. وأما قناة العربية (الحرّة جداً) فلجأت الى الاتحاد الدولي للصحافيين ليدين إغلاق مقر القناة، وكأن السعودية قمّة الحرية، وتتعامل مع إيران بالمثل على الأقل وليس بمستوى أدنى!

أما حزب الله فإنه كان على الدوام ضابطاً لأعصابه ولإعلامه، وإن كان يفسح المجال لبعض الأصوات اللبنانية المعارضة للسعودية بأن تنتقدها. ورغم الموقف المخزي من السعودية في حرب تموز ووصف حزب الله بالمغامر، ورغم الحملة الشعواء التي تشنها الشرق الأوسط والعربية كما الصحف المحلية ضدّه، إلا أنه صامت حتى الآن. وكاد في فترة سابقة أن يكسر الجرّة ضد قناة العربية لولا تدخل وسطاء لم يغير من واقع الإعلام السعودي شيئاً. ومع هذا، لم يشأ حزب الله أن يسرّب للإعلام العربي بأن قائده العسكري الأول إنما قتل في دمشق بتنسيق بين المخابرات الأردنية والسعودية والإسرائيلية، وهي ورقة لديه قد يكشفها إذا ما تطورت الأوضاع سلبياً.

حماس هي الأخرى ملتزمة بالصمت، إلا من إشارات مموهة من إعلامها المكتوب وقناتها الفضائية، فهي لاتزال تتحدث بصفة الجمع ضد معسكر الإعتدال، وتدين صمته بصفة الجمع، ولكنها أيضاً ألمحت في فترات سابقة الى أن بعض المحسوبين على فتح والذين فجروا الأوضاع في غزة إنما كانوا يتلقون أموالهم ودعمهم المباشر من السعودية مثل محمد دحلان، صديق السعودية (الكبير!).

لا يبدو أن إيران وسوريا في وارد مناكفة السعودية إعلامياً، فقد تُرك لها الفضاء لتسرح وتمرح فيه، إلا من ردود باردة متفرقة. لكن الأهم من كل هذا، من يكسب على الأرض.

الجميع يعرف من هو الخاسر، ولا عزاء له وإن طال وعلا صراخه في الإعلام.

سطو الكتروني سعودي

أصدرت إدارة موقع اليسار الأردني بياناً في الثامن والعشرين من أغسطس الماضي جاء فيه بأن المخابرات السعودية قامت باختراق موقع اليسار الأردني لمالكه الكاتب الأردني ناهض حتر. وذكر البيان بأن المخابرات السعودية (إخترقت موقعنا لأننا كشفنا عن الدور السعودي الإسرائيلي في استهداف الحركات الوطنية، وكذلك الدور السعودي في إضرام الفتنة المذهبية في البلدان العربية بصورة عامة وفي العراق ولبنان بصورة خاصة). وأكّد قادة حركة اليسار الإجتماعي الأردني بأنهم سيعودون قريباً (ونواصل نهجنا نفسه..).

ناهض حتر

وذكرت مصادر صحافية بأن المخابرات السعودية أقدمت على اختراق الموقع بعد نشره لعدة أخبار حول الدور السعودي في التحريض المذهبي. وأوضحت تلك المصادر بأن رئيس تحرير موقع اليسار الأردني، ناهض حتر، ذكر بأن السبب وراء اختراق الموقع هو الأخبار التي ينشرها الموقع حول الدور السعودي في العراق ولبنان، وخصوصاً تلك المتعلقة بالتحريض المذهبي السعودي فيهما. وقال حتر بأن هذا الإختراق هو إرهاب فكري وإعلامي وهو لن يثنينا عن دورنا المهني والأخلاقي في تزويد قرائنا بالمعلومات والأفكار، من دون قيود سوى القيود المهنية. ودعا حتر الزملاء الإعلاميين إلى إدانة هذا الاختراق الارهابي.

إستقالة مشرف..
صفقة سريّة مع السعودية

كشفت مصادر باكستانية في التاسع عشر من أغسطس الماضي عن صفقة سرية عقدها الرئيس الباكستاني المستقيل برويز مشرف مع مدير الإستخبارات السعودية الأمير مقرن بن عبد العزيز الذي شارك في مفاوضات لإقناع مشرف بالإستقالة. وكانت صحيفة (عكاظ) كشفت عن أن الجنرال كاياني (الصدّيق المقرّب من مشرف) توسّط بين مشرف ونواز شريف على أن يتم منح مشرف ضمان من الجيش بعدم تقديمه للمحاكمة.



مشرف: انتهت صلاحيته أميركياً

وكان برويز مشرف قد قدّم استقالته في أغسطس الماضي، فيما نفت وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس أن يكون قبول مشرف لاجئاً سياسياً في أميركا غير مطروح، في ظل خلافات حول من يخلف مشرف في الحكم.

وكانت مصادر خبرية باكستانية كشفت في الثامن عشر من أغسطس بأن قرار إستقالة مشرف جاء بُعيد زيارة رئيس الاستخبارات السعودي مقرن بن عبد العزيز إلى باكستان وتوصّله مع الائتلاف الحكومي المعارض إلى صفقة تحفظ ماء وجه مشرف. وكانت صحيفة (الاندبندنت) البريطانية أكّدت بأن الصفقة السعودية قضت بألا تُقدم المعارضة على محاكمة مشرف، فيما ذكرت صحيفة نيوزويك الأمريكية بأن مشرّف لن يبق في باكستان بل سيتوجه إلى السعودية للإقامة فيها.

من جانبها أعلنت أمريكا عزمها المضي قدماً في تعاونها مع الحكومة الباكستانية بعد رحيل مشرف الأمر الذي فسره مراقبون بأن أمريكا تخلت عن مشرف ورفعت الغطاء السياسي عنه بعد أن خدم كجندي في فلك السياسة الأمريكية. وحسب المراقبين فإن الإدارة الأمريكية لم تعجبها محاولة مشرف الحوارَ مع الجماعات الإسلامية كحل للعنف في باكستان، واعتبرت هذا الحوار مخالفا لسياساتها في محاربة الإرهاب، وقد تكون مبادرة السعودية لإقناع مشرف بالاستقالة جاءت على خلفية الموقف الأميركي الأخير.

طهران والرياض: معركة إعلامية

إرتضت طهران أن تخوض معركة صامتة مع الرياض لأنها تعلم بأن ما تحوزه الأخيرة من أسلحة إعلامية متنوّعة الأحجام كفيلة بأن تعرّضها لخسارة فادحة، ولذلك فضّلت طهران (غض النظر) عن الحملات الإعلامية السعودية المضادة التي تكفّلت صحف وقنوات فضائية وغيرها من وسائل إعلامية تتلقى دعماً مالياً سخيّاً من الأمراء السعوديين.

وفيما يبدو، فإن هامش المرونة الذي منحته طهران لنفسها إزاء الحملات الإعلامية السعودية بلغ الخطوط الحمراء، إضافة إلى أن هامشاً مماثلاً ينعدم لدى الرياض يجعل طهران في حل من أي التزام متبادل. مهما يكن، فإن الرياض لا تبدو في السنوات الأخيرة تكترث للحدود التقليدية المتعارف عليها بين الأخوة الألداء، ولذلك رسمت لنفسها مساحة مستقلة واسعة في النيل من خصومها السريين والعلنيين دونما حساب للنتائج، ولربما إستترت بحرية مزعومة يتمتّع بها المقرّبون من الأمراء دون بقية الأقلام، وخصوصاً تلك التي تدعو للإصلاح وتدافع عن قضايا المجتمع بصورة عامة.



إغلاق العربية في طهران

تبدو طهران مرتاحة لقرارها هذه المرة بطرد مدير مكتب قناة (العربية)، بررته بأن القناة المملوكة للسعودية تقدّم تغطية منحازة. وقالت (العربية) في الثاني من سبتمبر الحالي بأن السلطات الإيرانية أمرت حسن فحص بمغادرة البلاد. وحاولت القناة التغطية على السبب الرئيسي لقرار طهران بطرد مراسلها، حيث ذكرت بأنها أذاعت تقريراً بشأن إنتاج فيلم مصري بعنوان (إمام الدم) ينتقد فيه آية الله الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية في ايران، في رد فعل على فيلم إيراني بعنوان (اغتيال فرعون) تدور أحداثه حول اغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات في عام ١٩٨١. وكانت الشرطة المصرية قد قامت باغلاق مكتب تلفزيون (العالم) الإيراني في يوليو الماضي تحت هذه الذريعة. هذا الخبر كما أوردته (العربية) يبدو تغطية على سبب المشكلة الأساسي بين القناة وممولها وبين طهران التي تنظر، شأن كثير من شعوب وحكومات المنطقة، الى (العربية) على أنها قناة فتنوية وأنها تحوّلت إلى قناة تحريض مذهبي من خلال تقارير مصمّمة لهذه الغاية.

ونقلت وكالة (فرانس بريس) في الثاني من سبتمبر بأن السلطات الايرانية ألغت الإعتماد الصحفي لمدير مكتب القناة، وأبلغته بأنه (شخص غير مرغوب فيه)، بحسب ما نقل على لسان مسؤولين في وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية. كرد فعل على القرار، زعم مصدر مسؤول في قناة (العربية) بأن الأخيرة متمسكة (بالمعايير المهنية)، وأنها (لم تغيّر في منهجها الصحافي المتوازن طوال الفترة الماضية في تغطيتها للشؤون الإيرانية). وفيما اعتبرت (العربية) القرار الإيراني الرسمي جاء في سياق حملة مركّزة على القناة من قبل السلطات

وبعض وسائل الإعلام الإيرانية، فإن ثمة مصادر إيرانية شبه رسمية ذكرت بأن القناة اقتفت منهجاً عدائياً لكل ما هو عربي وإسلامي منذ ثلاث سنوات إضافة إلى انشغالها بالموضوعات ذات الطبيعة التحريضية، فيما كانت تهيء لأجواء التطبيع مع الدولة العبرية عبر إجراء مقابلات مع قيادات إسرائيلية، وبرامج سياسية وصحافية تشتمل على لغة تحريض على الحرب ضد إيران.

وكان النائب الإيراني علاء الدين بروجردي، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشورى الإيراني، وجّه إتهاماً للقناة بـ (التشهير) واتخاذ (موقف معاد من شعب الجمهورية الإسلامية وحكومتها)، حسب ما ذكرت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية في الثاني من سبتمبر.

بالرغم من أن السعودية وعدت الأميركيين بإعادة إحياء العلاقة مع

دور سعودي موارب من العراق

حكومة المالكي وإعادة فتح السفارة مع نهاية العام الماضي إلا أن إعلامها لا يزال يواصل حملاته المضادة لحكومة المالكي. وذكرت مصادر في بغداد الشهر الماضي بأن رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي ولأسباب أمنية إستعمل طاقماً إيرانياً في طائرته الخاصة، التي حصل عليها المالكي كهدية من إيران، فيما لا يزال نور المالكي يشكك في أي دور تلعبه السعودية في الملف العراقي، حيث تحتفظ حكومة المالكي بمعلومات موثّقة عن تمويلات سعودية لزعزعة الإستقرار في العراق.

فهد يقلد صدام وساماً!

محاولات السعودية للتقارب مع حكومة المالكي بدأت من لبنان، حيث قام رئيس تيار المستقبل سعد الحريري بزيارة الى بغداد ولقائه مع رئيس الوزراء العراقي وأعضاء بارزين في حكومته، إضافة إلى لقاء جمع الحريري بالزعيم الديني الشيعي علي السيستاني في النجف. وقد فسّرت الزيارة، وزيارة رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة اللاحقة للعراق، على أنها جزء من ترتيبات سياسية سعودية مع أطراف عراقية ولبنانية بهدف الحد من النفوذ الإيراني وتقوية إتجاه شيعي جديد ينافس حزب الله في لبنان.

يرد في هذا السياق أيضاً محاولات سعودية واسعة النطاق لاختراق المجتمع العراقي عبر (تقديم الأموال) للزعامات القبلية والعشائرية. وتنقل مصادر عراقية بأن تشكيل مجالس الصحوة في المناطق الجنوبية قد تسبب في إرباك داخل الأحزاب الشيعية الحاكمة، والتي ستترك تأثيراتها المباشرة على العملية الإنتخابية القادمة.

وفي النجف على سبيل المثال، أعلن مجلس الصحوة في المدينة عن نفسه بوصفه معسكراً سياسياً مستقلاً وسيخوض المنافسة ضد التحالف العراقي الموحّد لجهة جذب المزيد من الأصوات. أما في الديوانية، فقد أعلن نحو ١٢٠ شيخاً قبلياً عن استعدادهم للإعلان عن (مجلس صحوة) خاص بهم، رغم أنه لا يحظى بدعم الحكومة.

نشير الى أن شكوكاً أحيطت بمجالس الصحوة منذ بداية نشأتها لجهة ارتباطها بقوى خارجية وخصوصاً سعودية وإماراتية إضافة إلى تنسيق بعض القائمين عليها بوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وتستهدف المجالس إحداث توازن قوى عسكري مع الدولة، على أن يتم تأهيل عناصر الصحوة لخوض حرب أهلية داخلية في حال انفراط السلطة في بغداد.

(الهيئة) تجاوزت الحد
بدوي يطالب بتدخل القضاء الدولي

لم يجد الناشط الليبرالي رائف بدوي سبيلاً لوقف تجاوزت رجال الهيئة سوى بالمطالبة بتدخل محكمة العدل الدولية، بعد أن أصيب باليأس من قدرة الحكومة على الإضطلاع بهذا الدور، وبالتالي فإن بدوي يضع النظام السعودي أمام العدالة الدولية. وقال بدوي في مقابلة مع سي إن إن في الأول من سبتمبر الحالي بأن على محكمة العدل الدولية أن تتدخل في المملكة العربية السعودية لوقف تجاوزات إحدى جهاتها الرسمية.



رائف بدوي

وقال بدوي أن الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي المنكر أقيمت من أجل أمر واحد هو (قمع الشعب السعودي)، ورأى بضرورة تقديم رئيسها الشيخ إبراهيم الغيث إلى محكمة العدل الدولية بصفته مسؤولا عن جرائم ضد الإنسانية. ووصف بدوي رجال الهيئة بأن (أغلبهم من أصحاب السوابق الأخلاقية)..

وكان مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أصدر بياناً ندّد فيه بموقع بدوي على شبكة الإنترنت بعنوان (الليبراليون السعوديون). ويعيش بدوي الآن في العاصمة البريطانية لندن، وذلك بعد تقديمه للقضاء بتهمة إساءة موقعه الإلكتروني لعلماء المملكة بمن فيهم المفتي.

وكانت تقارير صدرت خلال العامين الماضيين تتناول تجاوزات رجال الهيئة على المواطنين، أدّت الى مقتل عدد منهم، فيما تم تشويه سمعة بعض آخر تحت ذريعة (الخلوة غير الشرعية). وكانت السلطات الدينية السعودية إعتبرت التقارير بأنها محاولة متعمّدة للإساءة إلى صورة المملكة وعلمائها.

التضخم في السعودية
الأعلى منذ ٣٠ عاماً

بلغت نسبة التضخم في السعودية ١١,١ بالمئة في يوليو الماضي، في أعلى مستوى له منذ ثلاثين عاماً بسب ارتفاع معدل ايجارات السكن وأسعار المواد الغذائية.

وأفادت مصلحة الإحصاءات العامة في بداية سبتمبر الحالي بأن مؤشر تكاليف المعيشة بلغ ١١٧,٣ نقطة فى ٣١ يوليو مقارنة مع ١٠٥,٦ نقطة قبل عام، مشيرة إلى ارتفاع تكلفة الأطعمة والمشروبات بنسبة ١٦ فى المائة فى يوليو مقارنة مع زيادة ١٥,٨ فى المائة فى يونيو بينما زاد مؤشر الترميم والإيجار والوقود والمياه بنسبة ١٩,٨ فى المائة مقابل ١٨,٧ فى المائة فى يونيو، في الوقت الذي زاد فيه إيجار الوحدات السكنية بنسبة ٢٣,٧ فى المائة.

وارتفعت نسبة التضخم الشهرية فى السعودية طبقا لإحصائيات رسمية ١,٦ فى المائة فى يوليو مقارنة بشهر يونيو حين كان المعدل السنوي ١٠,٦ فى المائة، وارتفع ٠,٥ فى المائة في يوليو مقارنة بالشهر السابق، وكان قد انخفض ٠,٢ فى المائة فى مايو وارتفع ٠,٩ فى المائة فى أبريل، وسجل معدل التضخم ١٠,٤ في المئة فى مايو و١٠,٥ فى المائة في أبريل. وتوقع محللون إقتصاديون بلوغ معدل التضخم ذروته قرب نهاية الربع الثالث الذى يتزامن مع نهاية شهر رمضان الذى يشهد تزايداً للإستهلاك والأسعار.

السعودية الخاسرة في لبنان

مشروع فشل مزمن

هاشم عبد الستار

ليس هناك ربح صافي في الرهان السعودي داخل لبنان، هذا على الأقل ما يهمس به حلفاؤها، أما المراقبون فلهم رأي آخر، حيث لا يرون في دورها ما يشير إلى أن ثمة رؤية واضحة تنظم الدور السعودي في لبنان. لا يذهب المراقبون بعيداً للوراء إلى ما بعد إغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في فبراير ٢٠٠٥، حيث خسرت السعودية قطبها الأبرز على الساحة اللبنانية، فتلك الخسارة كان يأمل الأمراء تعويضها عن طريق سلسلة إنتقامات من سوريا وحلفاؤها اللبنانيين، بدءً من إخراج القوات السورية من لبنان، وانتهاءً بتوجيه ضربة قاصمة للمقاومة وكان الرهان على حرب تموز ٢٠٠٦ في تحقيق ما عجزت عنه القرارات الدولية والمماحكات الداخلية، والخضّات الأمنية المتواصلة، وأخيراً تحريك العامل الطائفي على أمل أن تشتعل الأرض اللبنانية بالحرب الأهلية.

خروج سوريا من لبنان لم يمنح السعودية قوة، بل زادها ضعفاً، حيث بدأت القوى الدولية وخصوصاً الفرنسية والأميركية بتكثيف وجودها المباشر، واحتواء فريق الرابع عشر من آذار، الذي أصبح خاضعاً بصورة شبه كاملة لإملاءات هذه القوى. إضطرت السعودية، شأن الأردن ومصر، إلى أن تكون جزءً من مشروع الآخر: الفرنسي، الأميركي وبالتالي الإسرائيلي في لبنان، فأقامت بؤراً أمنية في بيروت الغربية والمناطق الخاضعة تحت سيطرة فريق الرابع عشر من آذار، في المناطق المسيحية الواقعة ضمن هيمنة القوات اللبنانية بقيادة سمير جعجع، وحزب الكتائب بقيادة أمين الجميل، وصولاً إلى الشمال اللبناني.

في السابع من مايو الماضي، كان المشهد مختلفاً تماماً، فقد وقعت البؤر الأمنية تحت سيطرة قوى المعارضة اللبنانية التي يقودها حزب الله، والذي أتقن بكفاءة عالية مهمة تفكيك الشبكات الأمنية التي كانت تديرها أجهزة الإستخبارات السعودية والأردنية وإلى حد ما المصرية. عثر حزب الله على وثائق بالغة السريّة والخطورة، وتشتمل على أدلة دامغة حول تورّط هذه الأجهزة في عمليات الإغتيال التي جرت منذ سنتين. اكتفت قوى المعارضة بتجريف الشبكات الأمنية ومصادر الدعم اللوجستي التي كانت توفّرها السعودية لعناصر مسلّحة في تيار المستقبل والقوات اللبنانية بدرجة أساسية، فيما يعلم الطرفان: الموالاة والمعارضة، ما تم العثور عليه خلال ما سمي باجتياح بيروت.

أدركت السعودية حينذاك بأن ما خسرته في السابع من مايو لم يكن قابلاً للتعويض، ليس على المستوى المادي فحسب، حيث دفعت ما يربو عن مليارى دولار لبناء تحالف واسع داخل لبنان لمواجهة سوريا والمقاومة وحلفاؤهما، ولكن الخسارة على المستوى السياسي والأمني كانت أفدح مما تخيّلته، الأمر الذي دفع بها الى نقل ثقلها المالي والأمني الى الشمال، لتدير لعبة الطائفية من هناك، رغم وهن مبررات الحرب الطائفية حيث لا خطوط تماس بين السنة والشيعة في الشمال، ولكن هي الورقة الوحيدة والأخيرة التي تمسك بها السعودية والقوى المتحالفة معها.

وعلى الضد من دول أخرى لها مصالح ونفوذ في لبنان، فإن السعودية وحدها التي تتميّز بكونها تملك الورقة المذهبية، التي بها تحارب خصومها، وتحاصرهم بها، وبها أيضاً تعوّض خسائرها.

تعلم السعودية كما المراقبين أنها الخاسر الأكبر في السابع من مايو الماضي، بالرغم من أن الخسارة لم تلحق بها وحدها فقد شملت حلفاؤها الآخرين من دروز ومسيحيين وغيرهم، وكذلك قوى خارجية أخرى عربية ودولية مثل مصر والأردن، وفرنسا والولايات المتحدة. ولذلك بقيت، حتى بعد إتفاق الدوحة وسلسلة القرارات اللاحقة (إنتخاب ميشال سليمان، وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية..)، تتحيّن فرصة الإنغماس في الشأن اللبناني مجدداً بهدف الإنتقام من خسارة سابقة. وفيما كان إتفاق الدوحة يؤسس لمناخ تصالحي يطوي مرحلة من التوتّرات الأمنية والمصادمات المتنقّلة، كانت السعودية تتربّص ببعض المناطق المؤهّلة للتسخين.

محاولة أخرى أقدمت عليها السعودية بعد السابع من مايو، على أمل أن تحقق اختراقاً سياسياً لصالح معتمدها الرسمي سعد الحريري، وتيار المستقبل بصورة عامة، وتمثّلت هذه المحاولة في الانفتاح على القيادات السنيّة من قوى المعارضة، بغرض كسر حاجز طالما منعها من التحرر من عقدة أساسية يعبّر عنها الشارع السني على طريقته الخاصة بأن تيار المستقبل حديث النشأة وأن القائمين عليه ليسوا أهل دين، وأن هناك في الطائفة السنيّة من هم أقدر وأكفأ وأعلم وأورع من سعد الحريري لقيادة الطائفة. هذه الملاحظات كان لها وقعها الخاص على السعوديين، إذ لا يمكن استدراج السنة الى مكان ما في الساحة اللبنانية بدعوى الدفاع عنهم، في الوقت الذي يعتلي سنام قيادتها من هو ليس بأهل لها. الحضور المتكلّف لرئيس تيار المستقبل في المساجد وصلاة الجمعة والجماعة وإن أريد منه التخفيف من وطأة الإنتقادات الواسعة في الساحة السنيّة، فإن الجماعات السلفية المحسوبة على القاعدة هي الأخرى لم تنجح في تعويض هذا النقص خصوصاً وأن قيادات هذه الجماعات إما غير معروفة لدى اللبنانيين السنة، أو ينتمون إلى جنسيات غير لبنانية، في وقت تعلو فيه نبرة (اللبننة) وتغطي مجمل الموضوعات الخلافية بين الموالاة والمعارضة.

مهما يكن، فإن السعودية التي تحاول تعويض خسارتها، لا تجني أرباحاً صافية، بل تسعى للحد

من خسائرها ولكن عبر الهجوم، هذا ما تلخّصه قراءة الكاتب الصحافي فداء عيتاني في جريدة (الأخبار) البيروتية. ففي ثلاث حلقات في الفترة ما بين ٢ ـ ٤ سبتمبر، يقدّم عيتاني توصيفاً لردود الفعل السعودية بعد السابع من مايو الماضي، ويبدأ مقالته الأولى بالقول: أرسلت السعودية شبكة واسعة من المندوبين وأقامت عشرات الاتصالات. التقت كل أطراف السنّة، وهاتف أمراؤها العديد منهم. زارت أشد الأخصام لآل الحريري، دعتهم إلى زيارة أراضيها المقدّسة، والاعتمار في رمضان. من لم يتمكن من زيارتها في رمضان رحّبت به قبل الشهر الفضيل، أو بعده، لا فرق. المهم أن تتمكن من إقامة الجسور.

ومن بين تلك الأسماء من كان إلى الأمس القريب يتعرّض لهجوم مباشر من آل الحريري، الممثل الحصري والوحيد للسعودية، ومن الأسماء من لا يزال يتعرض لأشنع الهجمات من أنصار تيار المستقبل ونوابه، إلا أن الرياض وأمراءها ومديري سياستها لم يتوقفوا عند شكليات كهذه، وهم يعلمون أن فتح أقنية الإتصال الجديدة سيثير ردود فعل غاضبة لدى الذين كانوا إلى الأمس معتمدي القبض والدفع والواسطة الوحيدة بين المملكة (فاعلة الخير) وطالبي الإحسان من شخصيات وجمعيات لبنانية، كذلك فإن فتح الخيارات في الاتصال السياسي ودعم أطراف سنية واسعة يعني أن المعركة المقبلة ستشهد صراعاً حاداً على مقاعد محدودة في المجلس النيابي المقبل.

وبحسب المعطيات المتوفّرة لدى عيتاني عن طبيعة الإتصالات السعودية، فإن أحد الاتصالات جرى مع رئيس حكومة سابق، ووضع في إطار المساعدة دون قيد أو شرط، مع تلميحات بأن المملكة ترغب في توافق سياسي خلال الانتخابات يشمل خاصة أقطاب السنّة، في إشارة إلى رغبة في توحيد المجموعات السنية المختلفة، واضعة بذلك الحريري الشاب سعد الدين في موضع صعب. كما جرى اتصال بين أحد علماء الدين في السعودية والداعية المعارض فتحي يكن رئيس جبهة العمل الإسلامي، وقيل له كلام يؤيد الدعوة الدينية التي يقوم بها، ودعي لزيارة السفارة السعودية، وكما يروي أحد المحيطين بالرجل فقد رفض الزيارة، فتلقى زيارة من أحد الوسطاء، وسمع الوسيط كلاماً صريحاً منه، بأن توجّه السعودية العام غير مريح، وأن تسليم تيار المستقبل كل مفاصل اللعبة السياسية سيؤدي الى كارثة، وأن التطورات في الملف السني (خاصة في الشمال) ستفضي هي الأخرى إلى كارثة.

لم تتوقف السعودية عن دعوة يكن لزيارتها، وكذلك عبد الرحيم مراد، الذي سأله بعض من في المعارضة عن موقفه وما سمعه، فانطلق مراد بالإجابة ودون مواربة: (إذا رأيتموني جالساً مع غولدا مئير فاعلموا أنني أحاول إقناعها بالقومية العربية ولا شيء آخر).

الرئيس عمر كرامي أيضاً تلقى اتصالاً، وغيره الكثير، ولكن أحد الأقطاب السنّة الذين لم يتلقوا اتصالاً من رجال المملكة سخر من الاتصالات، (هم يعلمون أنني لست من هواة الشنطة، فلا ضرورة للمحاولة) يقول الرجل وهو يحدثك في سيارته التي تتجول في شوارع بيروت.

حين تسأل أكثر عما تسعى إليه السعودية، لماذا الخروج عن الحصرية المعطاة لسعد وراثة بعدما كانت ملك يمين رفيق الحريري؟ من هو الذي قرر انتزاع هذه الحصرية من الشاب؟ الكل يقول إن فشل الشاب وتياره في معارك بيروت حسم الأمور باتجاه فك الحصرية عن الشارع السني، وحصرية التمثيل السعودي في لبنان من أيدي تيار المستقبل، الذي أعطي ما لم يعطَ لأحد في لبنان. أضف أن واقع الصراعات السعودية الداخلية حالياً، وتعدد الأجنحة في المملكة ساهم في تفكيك سيطرة المستقبل والتوجه نحو تعديد التمثيل وتوزيع المصالح.

على عكس دول عديدة، تتميّز السعودية باستثمارها للورقة المذهبية، التي بها تحارب خصومها، وبها أيضاً تعوّض خسائرها

ويعلّق عيتاني على كلام هذا القطب بالقول: كان لتيار المستقبل، ولآل الحريري إلى زمن قريب، نفوذ محلي لا يقاس. إمتلكوا فئة من السياسيين التي تمثل عملياً كل الطوائف، ولكن مرجعيتها سنّية في المقام الأول. حصلوا على رئاسة الوزراء لأغلب الأعوام التي تلت الحرب الأهلية. راكموا نفوذاً شعبياً على خلفية مقتل رفيق الحريري والعداء لسوريا، ولكن كل ذلك أهدر خلال أعوام قليلة، وخسروا أيضاً أقنية اتصال واسعة بناها الحريري الأب مع كل من سوريا وإيران، إضافة الى شبكة العلاقات الدولية، وكل ذلك أهدر وذهب هباءً.

ويلقي عيتاني في قراءة لوضع تيار المستقبلي في عهد الأب المؤسس (رفيق الحريري) والإبن الوارث (سعد الحريري)، حيث أدى افتقار الخبرة



فتح الإسلام ونهر البارد: بعض من بضاعة السعودية

والأهلية وبطء الإستيعاب لدى الأخير الى تشظّي تيار المستقبل بين مراكز نفوذ. ويتساءل عياتي: فما الذي حضّره تيار المستقبل للإنتخابات المقبلة، وهو قد حصد كل المساعدات المالية والمعنوية (على ندرتها) التي قدمتها السعودية؟ وما الذي جناه أقطاب التيار بعدما أصبح كل منهم يحكم جزءاً من تيار متفسخ لا توحده إلا شعارات العداء التي أدت في النهاية الى انفجار الوضع في وجه التيار نفسه، فوجد نوابه وكوادره أنفسهم محاصرين؟

لا شيء يمكن أن يقنع المملكة بأن تيار الحريري يمكنه تمثيل مصالحها في لبنان بقوة بعد الآن، وهي تخوض صراعاً على مستويات عدة، فضلاً عن الصراعات الداخلية. فهي اليوم تقف في وجه فشل مشاريعها الصغيرة. في باكستان طار الجنرال برويز مشرف، الذي كلفت رئيس مخابراتها الأمير مقرن بن عبد العزيز زيارته في التاسع من أيلول ٢٠٠٧، يرافقه سعد الحريري، والذي يشاهد اليوم ولا شك مصير مشرف. وليس وحده الملف الباكستاني ما فشلت فيه المملكة، التي لم يبق لها غير لبنان بلداً يمكن سياستها أن تعمل فيه وفق الحد من الخسائر، إلا أن المملكة اختارت الهجوم وسيلة للدفاع.

وفي الحلقة الثانية، يلقي عيتاني ضوء على انعكاس العلاقات السعودية السورية على الساحة اللبنانية، ويقرر حقيقة مفادها أن تلك العلاقات ليس هي نفسها التي كانت في زمن حافظ الأسد، وهي بالتأكيد سيئة للغاية بعد اغتيال رفيق الحريري. يلفت عيتاني إلى نقطة بالغة الحساسية وهي النزوع الأبوي لدى الملك عبد الله، وافتراضه أن الرئيس بشار الأسد سيكون مجرد تابع للسياسة السعودية، وبقي الملك عبد الله مصرّاً على هذه الأبوية لكونه في وقت ما مقرّباً من أبيه الرئيس حافظ الأسد. ولكن ما يغفله الملك عبد الله والسعودية بصورة عامة، أنها لم تعد هي الأخرى الدولة صاحبة المشروع السياسي الإسلامي أو

العروبي، فقد بدت أقرب الى المشروع الأميركي والغربي منها إلى أي مشروع آخر. وبالتالي يصبح تساؤل عيتاني مشروعاً: مَن الذي يمكنه إقناعها بأن مجموعة الاستثمارات السياسية التي قامت بها قد باءت جميعها بالفشل؟ وكيف إذا انعكس هذه الفشل على كل الأطراف والحلفاء المرتبطة بها سواء في لبنان أو فلسطين أو حتى في العراق فقد (ضاع اتفاق مكة بين حركة فتح والسلطة التي يمثلها محمود عباس من جهة وحركة حماس والحكومة الفلسطينية من جهة أخرى. وبعد قَسَم فتح وحماس بممثليهما أمام الملك السعودي بعدم إراقة الدماء، انهمر الدم مدراراً في غزة وغيرها، وفشلت التسويات الداخلية في العراق، وبدأت «مجالس الصحوة» في الفترة الأخيرة تغرق في الرمال المتحركة للصراع العراقي، وهي الرمال المتحركة نفسها التي غرق فيها الجيش الأميركي والحرس الوطني والشرطة العراقية. وضاع الجهد في أفغانستان وباكستان).

أما في لبنان، كما يقول عيتاني، ورغم الانسحاب الذي فرض على الجيش السوري في نهاية نيسان ٢٠٠٥، فإن شيئاً من مصالح السعودية لم يتحقق، ما عدا تحويل السنّة في لبنان إلى مجرد طائفة، وكما في العديد من التفاصيل، فإن السعودية هنا أيضاً أثارت استغراب الإدارة السياسية المصرية، التي لا ترى مصلحة لا تكتيكية ولا استراتيجية في إخراج سنّة لبنان من كونهم (جزءاً من الأمة) وتحويلهم إلى طائفة تضاف إلى طوائف لبنان وتتنازع معها على مكاسب تفصيلية في تراتبية النظام اللبناني المعقدة. وإذا كانت السعودية لا تزال ترى أن عام ٢٠٠٥ هو عام إخراج سوريا من لبنان، وهذا حميم، فإن في دمشق من يراقب الأوضاع في بيروت من خلف المنظار، ويعتقد أن عام ٢٠٠٨ هو عام خسارة السعودية في لبنان، وخروجها السياسي منه.

يلفت عيتاني إلى الإهتمام إلى التدابير التي اعتمدتها السعودية بعد السابع من مايو وهي تدابير تعود الى ما بعد حرب تموز ٢٠٠٦، حيث كانت تزرع العديد من الخلايا الناشطة المالية والاجتماعية وشبه السياسية، حيث أخذ الدعم شبه المشروط وجهة أخرى، حيث تحوّل الدعم بعد السابع من مايو الى مساعدات غير مشروطة ودعوات مفتوحة لزيارة المملكة.

إشعال طرابلس

فشلت محاولات السعودية في استمالة القيادات السنية في الشمال لجهة كسر عزلتها السياسية في لبنان، فأقدمت على خيار الهروب للأمام، فبدأت في تعبئة الجماعات السلفية في طرابلس لجهة الإستعداد لخوض حرب الأزقة والزواريب، وجاءت زيارة السفير السعودي عبد العزيز خوجة الى طرابلس لتطلق شرارة المواجهات الأهلية، وأخذت النبرة الطائفية بالتصاعد تدريجياً من قيادات الجمعيات السلفية المموّلة سعودياً، فيما كان الهمس يستعلن نفسه عن علاقة السعودية بتنظيم (فتح الإسلام) الذي تلقى عناصره في سجن رومية رسائل الدعم والتموين من الجمعيات السلفية المرتبطة بالسعودية، يضاف الى ذلك اللهجة الطائفية التي انفردت قيادات طرابلسية في إطلاقها بهدف إفشال التفاهم بين التيار السلفي وحزب الله، وتصعيداً للموقف المعسكري في طرابلس. وينقل عيتاني ما توصّل إليه السياسيون الطرابلسيون من استنتاج بشأن التحرك السعودي الكثيف في منطقتهم وهو: أن السعودية ستخوض هذه المرة معاركها في لبنان مباشرة لا بالواسطة، وأن تجميع الشخصيات بهذه الطريقة يعكس تفتتاً أكثر مما يعكس استقطاباً.

يكشف عيتاني عن أسماء شخصيات رئيسية في العائلة المالكة يجري تداول أسماؤها في طرابلس منها الأمير بندر بن سلطان، الأمين العام لمجلس الأمن الوطني، والأمير مقرن بن عبد العزيز رئيس الإستخبارات العامة، والأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، والأمير خالد الفيصل، أمير منطقة مكة، والأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وعدد آخر من الأمراء، وهؤلاء باتوا يتواصلون مع قيادات تيار المستقبل وقادة الأجهزة الأمنية المحسوبة عليه، دون المرور بقيادة ا.

لعبت السعودية دوراً فتنوياً في طرابلس، وتحت وطأة الانتقادات والخسائر المعنوية قبلت بالمصالحة بعد اكتشافها الفشل

وفي الحلقة الثالثة، يستعرض عيتاني القوى الضالعة في تأجيج الصراع الطائفي في الشمال، حيث تنفرد السعودية، من بين الإمارات وقطر والكويت من الدول الداعمة للتيارات السلفية في لبنان، في تحريك المجاميع السلفية المسلّحة وإقحامها في معارك ضارية، اعتقاداً من السعودية وتيار المستقبل أن التعرّض لتيار المستقبل سيأتي بأسامة بن لادن والقاعدة الى لبنان، وهو ما تحاول



اشتباكات طرابلس الطائفية: بضاعة سعودية أخرى!

السعودية إخافة خصومها منه، يذكّر ذلك بأسلوب الأمير بندر بن سلطان في إخافة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير لجهة وقف التحقيق في رشاوى اليمامة وإلا فإن تفجيرات ٧/٧ ستعود الى لندن.

تفجّرت الإشتباكات في طرابلس، وبدأ المال السعودي يغذي المجاميع السلفية المحسوبة على تيار المستقبل بالمال والعناصر، وفيما كان التفاهم بين التيار السلفي وحزب الله يشهد مخاض الولادة، بدأت السعودية بتحريك المجاميع السلفية المحسوبة عليها من أجل إسقاطه. فجأة بدأت تنطلق تصريحات من قيادات في تيار المستقبل بأن طرابلس عاصمة السنة، وكأن في ذلك تذكير بخسارة بيروت، التي لم تعد وفق هذا المنطق عاصمة للسنة، ولكن لغة التعبئة كما صاغتها السعودية لحلفائها تقتضي هذه المرة وفي طرابلس على وجه التحديد حيث يبيّت شر مستطير لها، على خلفية انتخابية تارة ومنازلة سياسية ضد الخصوم المحليين والخارجيين تارة أخرى.

وفي رد على الإنتقادات الواسعة للدور السعودي التخريبي في طرابلس، صعّدت الرياض من نشاط حملتها الشعبية لإغاثة الشمال تحت عنوان (الحملة الشعبية السعودية لإغاثة الشعب اللبناني)، وهي حملة مخصّصة حصرياً لتوزيع مساعدات غذائية على أهل السنة في مدينة طرابلس. ويشرف على الحملة وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز، وتأتي في سياق الرد على انتقادات من قيادات سياسية لبنانية إلى أن السعودية تلعب دوراً فتنوياً في شمال لبنان وتسعى إلى إشعال الحرب الأهلية بين اللبنانيين على مختلف طوائفهم. وتحت وطأة حملات النقد والخسائر السياسية والمعنوية دفعت السعودية حليفها المعتمد إلى تبني خيار المصالحة في طرابلس، بعد أن اكتشفت في آخر لحظة بأن خيار إشعال طرابلس سيحرق أصابع وثياب حليفها، وهو الخاسر وليس سوريا أو حلفائها. والسؤال يبقى دائماً: متى تتعلم السعودية من خسائرها؟

واشنطن ترجّح الأمير بندر بن سلطان

ملك على ظهر عمليات أميركية قذرة

سعد الشريف

أن يفشي الأمير بندر بن سلطان لأحد الكتّاب الأميركيين ممن يعرفون القناة الأنسب للحصول على المال السهل، بأنه يتطلّع ليوم يصبح فيه ملكاً، فتلك لم تكن مجرد دعابة أو حلم عابر، فالرجل يعمل منذ سنوات على تعبيد الطريق إلى العرش، وإن كانت طرق العرش تتبدّل مع رحيل ملك وقدوم آخر، فليس هناك قصر للحكم ثابت. على أية حال، فإن الأمير بندر يحسب بدقة معادلة الحكم والتبدّلات الطارئة المتوقّعة عليها، فاقتراب الجيل الثاني من نقطة الفناء، يجعله أقرب الى جعل الحلم حقيقة، خصوصاً حين يكون المرشّح القادم مدعوماً من واشنطن، في ظل ضعف كبير في بنية العرش، والتصدّعات المحتملة في البيت السعودي الحاكم.

بخلاف الأمراء السعوديين، يبقى الأمير بندر الأنجح في الوصول الى عقول وقلوب المسؤولين في الإدارات الأميركية المتعاقبة لمدة تربو على ربع قرن، وشارك في كل عملياتهم السريّة والقذرة في كل أرجاء العالم، وتحوّل إلى مخرج الطوارىء لدى المسؤولين الأميركيين لتجاوز ضوابط ومحددات الكونغرس والدستور الإتحادي، من أجل تمويل وتغطية عمليات سريّة تتسم بالإجرام والخداع.

في سيرة الأمير بندر بن سلطان ما يشي بوجود إشارات قوية على رغبة أميركية بوجود رجل مثل الأمير بندر يحقق أفضل تفاهم مع الولايات المتحدة. فقد شارك الأمير في عمليات على مستوى العالم وضعته في مكان مقرّب من البيت الأبيض، وبات ينظر إليه المسؤولون الأميركيون وخصوصاً في الحزب الجمهوري المقرّب من عائلة بوش على أنه الرجل الأشد وفاءً للسياسة الأميركية.

منذ بداية الثمانينات، سعى الأمير بندر الى تقديم نفسه كأفضل رجل في العائلة المالكة يمكن الإعتماد عليه في تحقيق أفضل التفاهمات بين واشنطن والرياض. وكان ثمة سباق طويل بين الأمير بندر واللوبي الإسرائيلي في واشنطن أراد فيه الطرفان إثبات الجدارة بأنه الأقدر على تحقيق التطابق التام في المصالح الإستراتيجية.

وفيما كان بعض الدوائر الإسرائيلية يرسم خطة إنقلاب كبير في الرياض يكون مقدّمة لتفكيك الشرق الأوسط، كان الأمير بندر بن سلطان يسعى في الإتجاه المعاكس الى صنع البديل الذي يضمن بقاء العرش السعودي، ويكفل بناء تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة يقوم على تنفيذ عمليات نموذجية تعزز من دور السعودية في الاستراتيجية الأميركية على الصعيد الدولي.

وقبل أن تبدأ خطتها في الحرب العالمية الثالثة، كانت واشنطن تسعى في المرحلة الأولى إلى وضع نهاية حاسمة للحرب الباردة عن طريق إخضاع الإتحاد السوفييتي، وجعل أميركا القوة الأكبر في العالم التي ستواجه العالم الإسلامي. في يناير ١٩٧٩، وصف مستشار الأمن القومي الأسبق بريزينسكي إيران وأفغانستان وشبه القارة الهندية بأنها (قوس الأزمة)، التي فرضت تحدياً جدياً للغرب. وكان الغرض حينذاك هو استعمال هذا القوس كمبرر لإشعال الأصولية الإسلامية في آسيا الوسطى، والتي جرى استعمالها لإفلاس وتدمير الإتحاد السوفييتي ومن ثم استعمال الأصولية الإسلامية ذاتها كمصدر للإرهاب الذي يخيف العالم الغربي. بطبيعة الحال، لم يتم الكشف عن الخطة هذه إلا في عام ١٩٩٨، في مقابلة صحافية مع بريزينسكي.

الأمير بندر الأنجح في الوصول الى عقول وقلوب المسؤولين الأميركيين لمشاركته في عملياتهم السريّة القذرة وتوفيره الغطاء المالي لها

وبحسب التاريخ المعلن أي الرواية الرسمية، فإن مساعدة وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية سي آي أيه للمجاهدين الأفغان بدأت خلال ١٩٨٠، أي بعد أن اجتاحت القوات السوفييتية أفغانستان في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٩. ولكن الواقع يحكي غير ذلك، فقد وقّع الرئيس كارتر في ٣ يوليو ١٩٧٩ على مذكرة أولية تدعو لتقديم مساعدات سريّة للمناهضين للنظام الموالي للسوفييت في كابول، ويقال بأن تلك المساعدات هي التي شجّعت القوات السوفييتية على التدخل المباشر في أفغانستان.

دعم السي آي أيه لحرب المجاهدين في أفغانستان كانت العملية السريّة الأكبر في تاريخ الولايات المتحدة، والتي جرى تمويلها عن طريق سلسلة معقّدة من النشاطات السريّة وغير القانونية، والتي عرفت بقضية إيران ـ كونترا سنة ١٩٨٧، والتي كشفت عن التداخل بين الأخوان المسلمين والنظام السعودي أيضاً. ومن الناحية الجوهرية، فإن الثروة الضخمة التي تجمّعت لدى السعودية عبر إدارة أزمة البترول، قد جرى تثميرها كمصدر تمويل لعميات السي آي أيه السريّة. وحين أصبح ريغان رئيساً، تورّطت إدارته في توسيع العلاقة القائمة منذ عهد الرئيس روزفلت، حيث تقوم السعودية ببناء شبكة واسعة من التجهيزات الدفاعية البحرية والجوية والتي ستعزز من القوات الأميركية، تحت ذريعة بأنها ستكون مورد حاجة لحماية المنطقة أو شن حرب ضد المعتدي. وكان يشتمل البرنامج على تفاهم جديد يقضي بأن تصبح السعودية شريكاً في العمليات السرية، ولكن ليس في الشرق الأوسط فحسب. وافق السعوديون على تمويل المنظمات المسلّحة في أفغانستان وأنغولا ومناطق أخرى، التي تدعمها إدارة ريغان بما فيها الكونترا في نيكاراغوا.

وإلى جانب إيران-كونترا، حين اندلعت الحرب بين إيران والعراق في سبتمبر ١٩٨٠، قامت الولايات المتحدة بتقديم الدعم بصورة سرية إلى طرفي النزاع، كما أصبحت منخرطة في العمليات المعروفة بعراق جيت. وقد استعملت إدارة ريغان فوائد مبيعات السلاح الى إيران لتمويل الجناح اليميني في الكونترا، بهدف كسر الجناح اليساري في نيكاراغوا، رغم أنها حكومة منتخبة ديمقراطياً. على أية حال، كلا العملين متناقضان مع قوانين الكونغرس التي منعت تمويل الكونترا أو بيع الأسلحة إلى إيران، التي تعتبرها (دولة إرهابية)، إضافة الى أن كلا العملين مخالفان لقرارات الحظر الصادرة من الأمم المتحدة.

وخلال هذه الفترة، وحتى وفاة السيد الخميني في ١٩٨٩، كانت إيران تقود المنظمات السياسية المعارضة للغرب وتحرّض كل المسلمين، السنة والشيعة لمحاربة البلدان الغربية، المصنّفة في خانة الشيطان الأكبر والأصغر. وقد ساعدت إيرانٍ وموّلت عدداً من حركات التحرر والجماعات المسلحة من فلسطين الى إيرلندا الشمالية الى السودان وساحل العاج.

في البداية، ومن أجل تجاوز إجراءات الكونغرس، تقرّبت الولايات المتحدة من الأمير بندر من أجل ضمان الدعم السعودي في تمويل الكونترا. الأمير بندر، الذي تم تعيينه سفيراً في الولايات المتحدة في سنة ١٩٨٣، وكان يبلغ من العمر آنذاك ٣٤ عاماً، وهو منصب خدم فيه لأربع وعشرين سنة. وكان للأمير بندر بن سلطان نفوذ غير مسبوق على الرؤساء وكبار المسؤولين الأميركيين منذ عهد ريغان. وكان صديقاً مقرّباً لعائلة بوش، فقد أطلقت عليه باربرا، والدة الرئيس الحالي جورج بوش، إسم (بندر بوش).

وبعد أن فجّر حزب الله المواقع الأميركية في بيروت، واختطف مسؤول محطة السي آي أيه في بيروت ويليام بكلي، كان وليام كيسي، مدير الوكالة، وبندر بن سلطان من وافقا على إغتيال الزعيم الروحي الشيعي في لبنان السيد محمد حسين فضل الله. تم تسليم إدرة العملية للسعوديين، الذين اعتمدوا على خدمات عملانية من قوات النخبة الخاصة البريطانية. الخطة فشلت، على أية حال، حين أفضى انفجار السيارة إلى انهدام شقة في بناية بالقرب من بيروت، وأدّت الى مقتل ثمانين من المدنيين الأبرياء. وفيما نجى الشيخ فضل الله من العملية، فإن السعوديين ومن أجل التغطية على ضلوعهم في المؤامرة قاموا بتزويد فضل الله بمعلومات تتعلق بالأشخاص الذين جرى تجنيدهم لهذه العملية. وعلى أية حال، فإن فضل الله لم يغفر للسعوديين ما وصفه جريمة بحق سكان الضاحية الذين سقطوا بفعل سيارة مفخّخة دفع الأمير بندر ثمنها بصورة كاملة وهو عبارة عن عشرة ملايين دولار.

بمرور الوقت، بلغت المساعدات السعودية للكونترا نحو ٣٢ مليون دولار. وكان بندر يقوم بدور الوساطة مع صدام، حين علم في وقت ما عن استعداده القبول بالمساعدة الأميركية. وكانت الولايات المتحدة تساعد أيضاً الإيرانيين، وبصورة أساسية من أجل ضمان نفوذهم لدى الجماعات التي تحتفظ برهائن أميركيين في لبنان، والذين يدعمون التفجيرات في البلدان الأوروبية الغربية.



بندر المرشح أميركياً

على أية حال، فإن الولايات المتحدة كانت مهتمة بدعم صدام، لحماية السعوديين والاحتياطات النفطية. وبالرغم من عدم موافقة الكونغرس، فإن إدارة ريغان سمحت بصورة سريّة للسعودية والكويت ومصر بنقل أسلحة أميركية بما فيها مدافع، وطائرات هيليكوبتر، ومتفجّرات لصدام.

وأيضاً، فقد تم تحويل جزء من فوائد مبيعات الأسلحة لإيران لتمويل المجاهدين. وكانت صحيفة الواشنطن بوست قد ذكرت في تقرير لها في بداية الثمانينات بأن الأرباح المقتطعة من مبيعات الأسلحة لإيران كانت تودع في حسابات

الطموح المضطرم داخل الأمير بندر، والعقد السابقة التي عانى منها داخل عائلته تدفع به لنوع من الثأر الذي يقلب معادلة الحكم

تديرها وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية حيث وضعت الولايات المتحدة والسعودية ٢٥٠ مليون دولار فيه. ولكن المال جرى توزيعه ليس فقط على الكونترا في أميركا اللاتينية، ولكن أيضاً على الثوّار المحاربين للقوات السوفييتية في أفغانستان.

تعقيدات عملية إيران - كونترا، وتسليح المجاهدين الإسلاميين الأصوليين في أفغانستان كانت تدار من قبل وليم كيسي، مدير السي آي أيه، المعروف بكونه غير شفاف وغير مرئي، وقد شملت عمليات كيسي تجارة الأسلحة للكونترا مقابل الكوكائين، وأن أرباحها تأتي من بيعها الى مجموعات تعمل في السوق السوداء في لوس أنجلس، وهذه المبالغ جرى استعمالها لاحقاً لحملات السي آي أيه السريّة والمتنوّعة.

تورّط حكومة الولايات المتحدة في تسهيل تجارة المخدّرات لتمويل النشاطات السرية تعود للوراء على الأقل الى مكتب الخدمات الإستراتيجية (أو إس إس)، سلف السي آي أيه. وكان وليام كيسي، وبالتعاون مع ريتشاد أرميتاج في البنتاغون، كان يدير الحرب السريّة للمجاهدين. صواريخ ستينجر، والكهوف الجبلية المعدّة كمراكز عمليات، ومعسكرات التدريب العسكري للمقاتلين الإسلاميين المجنّدين على نطاق دولي، وكذلك التدريب والتجنيد داخل الولايات المتحدة، كانت جزءً من عمليات التمويل، باستعمال فوائد مبيعات الأفيون، والمخدرات، والتي كانت تنقل عبر بنك الإعتماد (BCCI) بموافقة الحكومة السعودية التي كانت تعمل بصورة وثيقة مع وكالة الإستخبارات المركزية سي آي أيه والتي تستعمل غطاءً ما لتغليف ضلوعها في هذه العمليات.

بقي الأمير بندر عنصراً ناشطاً في العمليات السريّة للولايات المتحدة، وخاض بحماسة عالية في الصفقات القذرة التي جرت في عقدي الثمانينات والتسعينيات سواء مع الصين أو كوريا الشمالية أو ليبيا والسودان وغيرها، وبلغت مغامراته حد الدخول على خط الأزمات في المنطقة مثل الملف النووي الإيراني وكان يراهن على إقناع الإيرانيين بوقف التخصيب مقابل مكافأة مغرية من قبل الغرب، إلا أن الإيرانيين سخروا من محاولاته ونجحوا في إقناع الملك عبد الله في الحد من دور بندر بسبب نتائجه العكسية.

على أية حال، الطموح المضطرم داخل الأمير بندر، والعقد السابقة التي عانى منها داخل عائلته تدفع به لنوع من الثأر الذي يقلب من خلالها معادلة الحكم رأساً على قلب، حيث لا يعود العرش محتكراً من الأمراء ذوي العرق الأنقى داخل العائلة المالكة وخصوصاً من جهة الأم.

مجلة إنتليجنس الفرنسية:

من يرث العرش من أمراء الجيل الثالث؟

فريد أيهم

نشرت مجلة (إنتليجنس) الفرنسية في أغسطس الماضي تقريراً حول أزمة الخلافة في السعودية، ومن سيخلف الملك عبد الله، الذي يبلغ من العمر ٨٣ عاماً، فيما يبلغ ولي عهده الأمير سلطان بن عبد العزيز ٨١ عاماً. هذا السؤال الكبير الذي رافق عهد الملك عبد الله منذ اليوم الأول لإعتلائه العرش في ٣١ أغسطس ٢٠٠٥، ولم يجرؤ أحد داخل العائلة المالكة على القيام بخطوة حاسمة يضع نهاية تامة للجدل المنبعث حول منصب النائب الثاني للملك، ثم ما لبث أن فتح الباب على من هم الأمراء المرشحون للدخول الى حلبة التنافس على العرش في ظل وصول أعضاء الجيل الثاني من حدود النهايات الطبيعية لعمر الإنسان.

أزمة الخلافة تحوم حالياً حول القطبين الكبيرين في الدولة، فكلاهما، كما تقول المجلة، تلقى العلاج في مستشفى (جينوليه كلينيك) في جنيف بسويسرا. ربما كان ذلك لفحص طبي عادي مثل الذي يقوم به كل زعماء العالم حتى وهم في كامل لياقتهم الصحيّة، إلا أنه كان مدخلاً للمجلة، كيما تطرح سؤالا عن مستقبل السعودية، أو بعبارة أخرى عن القواعد التي تحكم عملية إنتقال السلطة، أم أن الأمر غير ذلك، إذ تكون البلاد على شفا أزمة حكم سياسية لو لم يتم حسمها مبكرا بالشكل الصحيح؟.

في نهاية العام الماضي، حسب المجلة، تم تشكيل (هيئة البيعة) وهي لجنة عائلية من قلب بيت آل سعود ترأسها الأمير مشعل بن عبد العزيز، عمره ٨٢ عاما، وهو الأخ غير الشقيق للملك عبدالله، وكانت مهمة اللجنة تتمثل في اختيار ولي عهد جديد للسعودية. لكن تركت اللجنة الباب مفتوحاً لمزيد من الأسئلة.. خاصة وأن السعودية ستجد نفسها مضطرّة لاختيار واحد من أبناء الجيل الثالث من الأمراء لو أرادت تجديد دمائها. بعبارة أخرى فإنها ستختار ملكها القادم من بين أبناء الأمراء الذين يحكمون المملكة حالياً.

يتردد أن الملك عبدالله، يسعى إلى أن تميل الكفة لصالح إبنه الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز الذي يشغل منصب نائب رئيس الحرس الوطني المساعد للشئون العسكرية، وهو ثالث أبناء الملك الذي ولد بعد الأمير متعب الأول (الذي توفي صغيراً) والأمير خالد.

أما الأمير سلطان ولي العهد الحالي، فلديه مرشحان هما ولداه الأمير بندر بن سلطان، والأمير خالد بن سلطان. فالأمير بندر بن سلطان هو الأمين العام لمجلس الأمن الوطني السعودي، وقضى ٢٢ عاماً من حياته في السلك الدبلوماسي، وعمل سفيراً لبلاده في واشنطن في الفترة بين عامي ١٩٨٣ وحتى ٢٠٠٥، وكان هو السفير الوحيد بواشنطن الذي تخصص له حراسة دائمة من الحرس الرئاسي الأمريكي وكان له دور شديد الأهمية في إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية، وكذلك في إنهاء أزمة لوكيربي الليبية.

أما أخوه غير الشقيق، الأمير خالد بن سلطان فهو مساعد وزير الدفاع والطيران المساعد للشئون العسكرية، وإذا كان الأمير بندر يتمتع بسجل دبلوماسي حافل، فالأمير خالد سلطان يتمتع بسجل عسكري أكثر امتداداً فهو حاصل على الماجستير في العلوم العسكرية من كلية القيادة والأركان العامة من فورت ليفنورت الأمريكية وحصل على دورة الحرب من كلية الحرب الجوية في ماكسويل، ودورة إدارة الشئون الدفاعية من معهد الدراسات البحرية في مونتري، وكلها معاهد وكليات أمريكية.

تولى الأمير خالد مناصب شديدة الأهمية في الجيش السعودي مثل منصب مدير إدارة مشاريع الدفاع الجوي، ومساعد ونائب قائد قوات الدفاع الجوي: ثم منصبه الأهم والأكثر شهرة: قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات في حرب تحرير الكويت، والذي ألف عنها كتابه المعروف (مقاتل من الصحراء). وهو حاليا عضو جمعية العلوم السياسية الوطنية، وجمعية العلوم الفلسفية، وجمعية القيادة بأمريكا، وعضو الأكاديمية الدولية المعلوماتية بروسيا الاتحادية.

المرشح الرابع لولاية العهد من بيت آل سعود هو مرشح وزير الداخلية القوي، الأمير نايف بن عبدالعزيز، يدعم إبنه ومساعده للشئون الأمنية الأمير محمد بن نايف الذي لفت الإنتباه إليه بعد دوره في إحباط العديد من العمليات الارهابية في منصبه غير الرسمي، وهو قائد الحملة ضد الإرهاب في السعودية.

أما المرشح الخامس والأخير، وهو صاحب قدر كبير من الحظ في مسألة ولاية العهد، هو الأمير محمد بن فهد، وهو إبن الملك فهد.. عمره حاليا ٥٨ عاما، وهو حاكم المنطقة الشرقية في السعودية، ويملك نفوذاً واسعاً، بفعل هيمنته على أهم منطقة في المملكة من الناحية الإقتصادية.

والمنطقة الشرقية هي أحد أهم الأعصاب في المملكة..ففيها تتركز آبار البترول، السلاح الاستراتيجي السعودي الأول في علاقتها مع العالم وفيها أيضا، تتركز غالبية الشيعة المقيمين في السعودية، وهم قوة لا يستهان بها.. ويمكن أن يتحولوا في أي لحظة إلى صداع عنيف في رأس الحاكم السعودي، لو لم يحسن فهمهم.. والتعامل معهم.. والسيطرة عليهم في كثير من الأحيان.



مرشحو الخلافة: بندر بن سلطان، محمد بن نايف، متعب بن عبدالله

لفت الأمير محمد بن فهد الانتباه إليه بقدرته على فهم منطقته، والتعامل مع مختلف الطوائف التي تحيا فيها.. على تعدد أهوائها وميولها ومصالحها.. إن الشيعة يحسبون له ألف حساب بينما يمنحه البدو احترامهم وولاءهم.. خاصة أنه يحظى بشعبية كبيرة بين أهم قبائل البدو الموجودة في المنطقة الشرقية.

وتظل الورقة الرابحة في يد الأمير محمد بن فهد، هي علاقته القوية بالسلطات الدينية في السعودية. وهي السلطات التي لا يمكن اختيار الملك القادم دون موافقتها ودعمها، ومباركتها، منذ ذلك التحالف الذي قام بإنشاء المملكة العربية السعودية.. بسياسة ونيران بيت آل سعود.. وفكر وعقيدة الوهابيين. أمام ملك السعودية القادم تحديات لايقدر عليها إلا أشد الرجال.. وأحكم الملوك.

مع أميركا الى النهاية

السعودية: الذراع السياسية المكسورة لواشنطن

خالد شبكشي

كانت لدى الولايات المتحدة في المنطقة يدان: الأولى متشددة، تميل الى استخدام الآلـة الحربية العسكرية الضاربة، إن أرادت الحرب والقتل، وقد تمثلت في إسرائيل التي اعتبرت دائماً رأس الحربة لواشنطن. ويد أخرى سياسية ناعمة، تحصد المكاسب السياسية على الأرض، فإذا رأت واشنطن أن خيار العنف غير ملائم، وأن الأدوات السياسية هي التي يجب أن تفعّل وتستثمر ما أنجز على الأرض، أوكلت لليد الأخـرى بالإنطلاق. هذه اليد الأخـرى كانت: السعودية.

إسرائيل والسعودية كانتا يدين ضاربتين تصولان في المنطقة سياسياً وعسكرياً وأمنياً، لحساب الولايات المتحدة الأميركية ولعقود طويلة. غير أن السعودية غيّرت موقعها منذ بضع سنوات، فبدل أن تبقى في موقعها السياسي الناعم إما لتحقيق مكاسب سياسية، أو لإبعاد الأضرار عنها، فإنها اقتربت من نهج اليد الإسرائيلية المتشددة، حتى صارت المواقف شبه متطابقة بين البلدين في موضوع حماس في غزة، وموضوع حزب الله في لبنان، وموضوع الخطر الإيراني، بل انهما يكادا يتطابقان في الموقف من سوريا ونظامها.

هذا التحوّل في الموقف السعودي، كان يستلزمه خسائر معنوية وسياسية، وهو ما حدث بالفعل.

لكن مشكلة السعودية أعمق من هذا.

إن نهج الولايات المتحدة الأميركية في المنطقة بدأ بالتزلزل فعلاً.

فالآلة العسكرية المتشددة المقترنة بنهج سياسي فوقي حاد، لم تعد قادرة على تحقيق مكاسب سياسية. يسمون ذلك في السياسة: انهيار معادلة الردع، أي انهيار التوازن النفسي بين أميركا وأعدائها، بحيث أن التهديد باستخدام آلتها الحربية لم يعد فاعلاً بما فيه الكفاية. ففي الماضي كان مجرد التهديد يخيف ويحقق منجزات سياسية، وتنازلات من الأطراف الأضعف في المعـادلـة. اليوم لا تـؤخذ تهديدات أميركا وكأنها قدر، ولا يخشى من يدها الإسرائيلية مثلما كان الوضع في الماضي. بمعنى آخر: لم تعد أميركا واسرائيل مخيفتان بما فيه الكفاية لتحقيق انتصارات سياسية. نجد هـذا واضحاً في لبنان وسوريا وغزة وإيران وحتى في العراق وأفغانستان.

معنى هذا، أن واشنطن التي تعتمد على آلتها الحربية لم تعد تستطيع توفير مكاسب يحصدها النظام السعودي بالنيابة. خاصة وان هذا النظام استقال كليّة من دوره السياسي الناعم، وصار يزايد على الآخرين بضرورة استخدام العنف الغربي والإسرائيلي ضد حزب الله وايران وسوريا وحماس. لا توجد مكتسبات تحصدها أميركا، ولا إسرائيل ولا السعودية، خاصة بعد الخسارات المتوالية في لبنان (حرب تموز وما تلاها) وخسائر العراق وأفغانستان، والضعف الملاحظ في تنفيذ أي من التهديدات الأميركية ضد سوريا وإيران.

حين يذوي ويضعف القلب الأميركي، تضعف ـ تبعاً له ـ أدواته ـ إسرائيل والسعودية. وقد جربت الأدوات ـ وليس القلب فقط ـ حظّها بصورة مباشرة في معترك الصراع السياسي العسكري وفشلت، إن في حرب لبنان ٢٠٠٦، أو ما تلاها.. أو في حرب العراق كما فعلت السعودية، أو في غزة وحماس وغيرها من القضايا.

مشكلة السعودية أن نهوضها السياسي الإقليمي لم يكن قائماً على قواها الذاتية فحسب، بل الأهم أن النجاحات الأميركية والإسرائيلية تعضده. والدليل أن قمة هيمنة السعودية إقليمياً، كانت متزامنة مع قمة قوة الولايات المتحدة واسرائيل وهيمنتهما على منطقة الشرق الأوسط. وهناك الدليل العكسي أيضاً، من خلال معطيات الوضع الحالي، فقمة انتكاسات أميركا واسرائيل التي نشهدها اليوم، متزامنة مع قمة انتكاسة وضعف السعودية إقليمياً.

لكي يحيا الدور السعودي مجدداً فإن ذلك يستلزم واحداً من أمرين:

إما أن تنهض السياسة الأميركية من كبوتها في الشرق الأوسط، وتنهض معها اسرائيل، فتحققان منجزات في خارطة مناطق التوتر.

وإمـا أن تنسحب السعودية من موقعيتها المتشددة، وتبتعد ـ ولو قليلاً ـ عن النهج الأميركي، بحيث يستطيع المواطن العربي تمييزها بشكل مختلف عن الحلف الأميركي الإسرائيلي.

كلا الإحتمالين غير واردين في المدى المنظور، فالولايات المتحدة أقرب ما تكون وهي على أعتاب انتخابات جديدة الى (تغيير منهجها) بـدلاً من الإرتكاس في الرمال المتحركة أكثر وأكثر. هذا إذا ما نجح باراك أوباما في الإنتخابات الأميركية القادمة. أما إذا فاز ماكين فإن ذات النهج البوشي سيستمر، وسيكلف ذلك الولايات المتحدة كثيراً، وكذلك حلفاءها في أوروبـا والشرق الأوسـط، وستفتح معارك مع روسيا وإيران وربما حتى مع الصين، لا يتوقع معها الأميركيون أنفسهم ـ مثل بريجنسكي وسكوكروفت واولبرايت ـ إلا المزيد من التأزم والإنحسار للدور الأميركي في العالم وليس في الشرق الأوسط فحسب.

لا يتوقع الأميركيون أنفسهم تحقيق منجز في المدى المنظور لا في افغانستان ولا في العراق ولا حتى في كوريا الشمالية ودول أميركا اللاتينية! وبالتالي فإن ربط السعودية المحكم في سياستها ومكانتها بسياسة ومكانة واشنطن رهان خاسر، ولكن السعوديين يميلون الى البقاء عليه، فهم يشعرون بالأمن والحماية بالتحالف مع القوى الأعظم، حتى وإن كلفهم ذلك خسائر، هي بنظرهم (مؤقتة).

ثم ان السعودية بحاجة ـ فيما لو قررت تغيير وجهتها السياسية ـ الى تعديلات جوهرية في نظامها



معاً حتى النهاية!

السياسي بالضرورة، فهي تعتقد بأن الغرب سيعاقبها بصورة من الصور، وسيزيد من ضغوطه عليها لتقديم تنازلات في المجال السياسي والحقوقي، ليس قناعة، وإنما من أجل الضغط. والسعودية مستعدة لان تتنازل عن كثير من المواقف والقضايا وحتى الأموال من أن تتنازل لشعبها في مجال تطوير النظام السياسي والحريات العامة.

وأخيراً، فإن تغيير المنهج السياسي السعودي يستلزم زمناً غير قصير لإعادة وصل ما انقطع مع الدول الأخـرى، وإعـادة صياغة النظام العربي من جديد، كيما تتمكن من ممارسة دورهـا النافذ فيه بحيث يوفر لها المكانة والحماية المستقبلية.

السعودية ليس لها هذا النفس الطويل. وسياستها قائمة على ردود الأفـعـال لا التخطيط المستقبلي الهادئ.

هكذا عودتنا فيما مضى، وهذا ما ستمضي عليه في أرجح التقديرات.

السعودية وسياسة (التدمير الذاتي)

ناصر عنقاوي

لم تخسر السعودية معاركها السياسية الإقليمية في العراق ولبنان وفلسطين وأفغانستان والسودان وإيران وغيرها، بقرار أميركي أو أوروبي.

أميركا لا تريد إضعاف حلفائها إلا أن تكون مضطرة لاتخاذ مواقف لا ترضيهم وفقاً لمصالحها، وليست كل مصالح أميركا نقيض لمصالح أولئك الحلفاء، كما يرى ذلك الحلفاء أنفسهم!

وأوروبا كما أميركا تريد تنشيط الدور السياسي السعودي ـ المصري ـ الأردني في المنطقة، ولا تريد لحلفائها الإرباك والإضعاف والإذلال.

السعودية هي من هزمت نفسها.

هي من قرّر تغيير قواعد اللعبة والأدوار، فخسرت واحتُقرت وهُمّشت سياسياً، وصارت في وضع ـ يرثى له ـ لم تصل إليه في تاريخها الحديث.

لا أحد يلوم الأطراف الإقليمية المنتصرة والمنتشية، بقدر ما يلوم السعودية على سوء اختياراتها وسوء خياراتها، وعلى تغيير جلدتها ودورها وموقفها.

الشتيمة لسوريا أو إيران أو حماس أو حزب الله، أو حتى الخرطوم والجزائر، لا يفيد السعوديين بشيء. كل ما في الأمر هو أن السعودية تحوّلت الى مهزوم فقد بصيرته وراح يرشق منافسيه أو المنتصرين عليه بسهام الطائفية أو بسهام التخوين والعمالة، وهي تهمٌ لم تكن لصيقة بالسعودية كما هي اليوم!

أين أخطأت السعودية؟

بالطبع فإن آل سعود لا يعترفون بخطأ ارتكبوه، وهذا جزءٌ من المشكلة، بحيث أنك تجد نظاماً يغرق في لجة بحر وهو يعتقد أنه لازال على ظهر اليابسة. إنها النرجسية السياسية التي جعلت النظام السعودي يعيش ما يشبه أحلام اليقظة. فالعالم كله مخطئ إلا هم. والعالم كله يتآمر عليهم، حيث يتضخم حسّ المؤامرة بصورة كبيرة جداً هذه الأيام. والسبب ليس أن عنصر (المحافظة) الذي طبع النظام السياسي السعودي منذ تأسيسه يعيش هواجس التآمر عليه، بقدر ما هي أعراض الفشل واليأس والحاجة الى تبرير الفشل في دائرة صنع القرار السعودي وخارجه.

السعودية لا تخطئ، فهي ـ كما عقيدتها الوهابية ـ منزّهة عن الأخطاء، وبالتالي منزّهة عن النقد، سواء جاء من الداخل أو من الخارج. والملوك السعوديون ليسوا أنصاف آلهة، بل آلهة بالتمام والكمال، لا يعتورها النقص، ولا يجري عليها النسيان والخطأ، وهذا لعمري مرضٌ أعظم فتكاً من أي مرض آخر لاتزال السعودية مبتلاة به. وفي حمّى هذه المشاعر التنزيهية النرجسية يكون تضليل الذات أمراً حتمياً.

لا أحد ضلّل آل سعود ـ كالأميركيين مثلاً ـ بل هم أنفسهم ضلّلوا أنفسهم ولازالوا!

ولا أحد جرّ السعوديين من أذنيهم الى مستنقع رمال متحركة لم يكونوا يروه، بل ذهبوا ـ متحمسين ـ الى المستنقع ظنّاً منهم أن الطريق سالكة لهم وحدهم وحلفاءهم، واثقين من النصر، وقد جرّوا معهم كل حلفائهم إلى الوهم الكبير.

كان أمام السعودية خيارات، كما كان لغيرها من الدول الحليفة لأميركا، ولكنها اختارت الأسوء بينها. لم يقسرها أحدٌ على ذلك، وكان بإمكانها أن تتمتع بنفس الهامش الذي تمتع به اليمن أو قطر أو الكويت أو حتى تونس والمغرب. إذ لا يعقل أن السعودية بإمكاناتها المادية وموقعها الروحي تضيق بها المساحة أكثر مما تضيق بالآخرين، وبالتالي لا تستطيع أن تقاوم رغبة أميركية هنا أو هناك، في حين أن الآخرين ـ الأضعف بمنطق السياسة ـ كانوا قادرين على المقاومة.

السعودية اختارت ما تريد عن وعي وإدراك، ولكن حساباتها لم تكن علمية، وكانت واثقة من نصر ما، فخذلتها حساباتها الضحلة، كما خذلها الإنسياق الأعمى وراء العاطفة المشبوبة للطائفية التي تحرّكها.

السعودية هي التي وضعت السكين على رقبتها وليس أميركا أو اوروبا.

كان بإمكانها عدم الإنحياز فاختارت الإنحياز الكامل.

وكان بإمكانها عدم الصدام فاختارت الصدام المباشر.

وكان بإمكانها أن تكون القاضي، فاختارت دور الغريم وأصرّت على أن تكون طرفاً (اعتقدت أنه سينتصر) أصبح مهزوماً فيما بعد.

وكان بإمكانها أن تكون شريكاً لأميركا في السياسة، فاختارت أن تكون شريكاً في الحرب.

وكان بإمكانها أن تقف في الصف الثالث في مواجهة قوى الممانعة، ولكنها أصرّت على أن تكون رأس الحربة في الصف الأول.

السعودية هي من اختارت مصادمة حماس وإطلاق النار عليها.

وهي التي اختارت أن تقف ضد لبنان وحزب الله الى جانب اسرائيل في حرب تموز، ووصفت الحزب بأنه مغامر.

وهي التي اختارت أن تساهم بصورة مباشرة في الحرب الطائفية في العراق.

وهي التي اختارت أن تتآمر مع إسرائيل لإعداد انقلاب يطيح بالأسد العام الفائت.

وهي التي اختارت أن تنسق مع اسرائيل وتلتقي به مرات مرات كما هو معلوم ومنشور.

لم يجبر أحد آل سعود أن يتطوعوا فيصفوا نصر الله بأنه شارون كما قال سعود الفيصل. هذا لم يقله أحد من حلفاء أميركا.

ولم يطلب أحد من آل سعود أن يروجوا بأن إيران أخطر على العرب من اسرائيل. وهو قول لم يقل به أحد من حلفاء أميركا الكثر في المنطقة، ولم تكن تتمناه دولة إلا إسرائيل.

ولم يجر الإسرائيليون أذن السعودية ليشاركوا مع الأردن في اغتيال عماد مغنية في دمشق.

كما لم يطلب منهم الأميركيون أن يفتحوا معركة نهر البارد أو معركة طرابلس الموجهة في الأساس ضد حزب الله فانقلب السحر على الساحر. في الحقيقة أن أميركا لم تكن راضية على تلك الطريقة وإن تمنت مواجهة حزب الله.

إذا كانت السعودية تستطيع أن تقول لأميركا لا بصورة من الصور في موضوع العملية السياسية في العراق وأن تعمل على تخريبها وترفض فتح سفارتها، فإنها بلا شك كانت قادرة على رفض كثير من القضايا والمواقف الأخرى لو أرادت مثلما فعلت دول أصغر منها.

آل سعود ـ الملائكة المنزّهون ـ طعنوا أنفسهم، بخياراتهم وسياساتهم ومواقفهم. هم من قام بالتدمير الذاتي لقوتهم ومكانتهم وسمعتهم، وبالتالي استحقوا ما استحقوه وما سيستحقونه أيضاً في المستقبل.

التائهون المنهزمون يبحثون عن حل

الفيصل في باريس، وبندر في موسكو!

محمد شمس

رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. والسعوديون يضخمون قدر أنفسهم ومكانتهم، ويرون أن الدنيا كلها مدينة لهم، حتى ضحايا النظام السعودي في لبنان والعراق واليمن وغيرها يفترض فيهم تقدير (الموقف السعودي)!.

هذا من ناحية المعنويات، أما من ناحية الإمكانيات، فإن السعوديين يختزلونها في (المال) ولا شيء غير المال. هم يعتقدون بأن لا أحد في العالم يستطيع أن يجاريهم أو يتحدّى سياستهم ماداموا قادرين على الدفع. وكأنهم وحدهم من يمتلك المال في هذا الكون، وكأن القوّة تتلخّص في المال وحده. ولو كان هذا صحيحاً لأضحت السعودية إمبراطورية عظمى، لا دولة غير قادرة حتى على مواجهة اليمن، أو كتيبتين من القوات العراقية احتلت الخفجي أثناء غزو العراق للكويت! حتى أن قطر هي من تبرّع وتصدّى وليس السعوديين من الحرس والجيش، فهناك مجرد أسماء وهمية تستلم رواتب آخر الشهر!

تفترض السعودية أن المال وحده قادر على تغيير سياسات الدول، كل الدول، وفي كل الأوقات. وانها تستطيع أن تحارب أعداءها ـ ليس بقواتها وقوتها الخاصة ـ وإنما بقوّة غيرها. ولو أن الغير كان صغيراً لكان أمراً مقبولاً، فهناك دائماً سلاح يبحث عمّن يشتريه، ولكن المغالاة في قوة المال تقتل همّة الدولة السعودية نفسها، ويجعلها تعتمد على غيرها في كل عمل سياسي تريد فعله.

يعتقد السعوديون ـ مثلاً ـ أن مجرد عقد صفقة مع دولة ما لشراء سلاح أو غيره، كاف لأن يفهم الطرف الآخر ما تريده السعودية ـ وبدون أن تقول شيئاً. كاف لأن تغير تلك الدولة سياستها وتنسجم مع السياسة السعودية ومتطلباتها، حتى وإن كانت تلك الدولة عظمى أو نصف عظمى مثل فرنسا وبريطانيا وحتى روسيا! فضلاً عن القوى الإقليمية مثل تركيا والباكستان وأندونيسيا.

السعودية لم تحارب تاريخياً بجنودها، حتى مع اسرائيل، مع أنها أرسلت مئات من المقاتلين غير المدربين وغير المسلحين في بعض الحروب. والسعودية تعلم قبل غيرها أنها ضعيفة عسكرياً رغم صفقات السلاح الضخمة التي لم يشهد القرن العشرين ولا الواحد والعشرين لها مثيلاً. وسبب الضعف: قرار حكومي لا يريد أن يكون الجيش قوياً حتى لا يفكر في إعداد إنقلاب عسكري، وحتى القوة الجوية التي هي أفضل ما لدى آل سعود، فإنها تحت سيطرة طيارين من الأمراء (٣ من كل ٥ طيارين حربيين هم من الأمراء)!

لننقل الصورة الى السياسة هذه المرّة، وعلى كامل مساحة الوضع الإقليمي. ماذا نجد؟.

السعودية حاربت في العراق بأميركا، ولما وجدت الأخيرة غير قادرة للتصدي للنفوذ الايراني، كانت هناك القاعدة وفلول المقاومة الطائفية ودفعت بالاموال والرجال والأفكار.

والسعودية حاربت في لبنان عبر قواها المحلية هناك، ابتداءً من جعجع وجنبلاط والحريري، وحين وجدت أن هؤلاء غير قادرين على تغيير المعادلة، استعانت بوهابييها في نهر البارد وطرابلس. وقبل هذا كانت السعودية فرحة بضرب اسرائيل للبنان في حرب تموز ٢٠٠٦. ألم يقل الإسرائيليون بأن دولاً عربية مثل مصر والسعودية والأردن طالبوا القيادة الإسرائيلية باستمرار الحرب الى أن يتم التخلّص من حزب الله والى الأبد؟!

والسعودية حاربت حماس بمحمد دحلان وعباس، ويدفع مصر لتنشيط الحصار، وساهمت هي فيه، لإسقاط حكومة هنيّة، ولاتزال السعودية تلعب الدور الأساس الى جانب مصر في تغطية حصار غزّة سياسياً، وهي التي لها قصب السبق في شن الحملات الإعلامية على حماس كما هو واضح.

والسعودية التي لا قبل لها بالنظامين السوري والإيراني أرادت محاصرتهما عبر قوى متعددة للغاية. لنأخذ سوريا مثلاً.

أرادت السعودية محاصرة دمشق عربياً أولاً، وكان ذاك واضحاً في محاولة إفشال القمة العربية التي عقدت في دمشق. وتحرّكت على المحكمة الدولية، كما تحركت على مصر لتنعزل عن سوريا ومعها الأردن وحتى اليمن! ثم كان هناك التنسيق مع أميركا وباريس للإطاحة بالنظام السوري، أو إضعافه، ولكنها في النهاية وجدت حلقات الحصار تتفكك بعد هزيمة اسرائيل في لبنان وبعد هزيمة حلفاء السعودية في بيروت والذي توج في أيار الماضي.

الآن السعودية تريد ديمومة الحصار. تحركت على أميركا لكبح جماح باريس، ولكن أميركا تعلم أن خيارات العنف والقوة لا مكان لها. والإتحاد الأوروبي مهمته أن يقوم بالعمل السياسي بعد أن يعجز العمل أو التهديد العسكري الأميركي. لكن السعودية التي وقعت صفقات مع باريس هالها التغيّر في السياسة، وكان ساركوزي للتوّ قد زار السعودية ووعد بصفقات مالية من البقرة الحلوب! ولكن ساركوزي لا يمثل نفسه، بل يمثل أوروبا الموحدة، والى حد ما الرأي الأميركي.



لا حروب بالنيابة عن السعودية

غضب السعوديون من توجيه ساركوزي دعوة الى الرئيس الأسد لزيارة باريس، وطالبوه بأن يلغي الدعوة، وطار سعود الفيصل الى باريس من أجل ذلك، لكن الفرنسيين اعتذروا له، وأوضحوا له بأن فرنسا وأوروبا الموحدة لن (تبيع لبنان لدمشق) بل (ستروضها)!

لم يقتنع السعوديون، وشعر ساركوزي بأن مصالح بلاده قد تتضرر، فما كان منه إلا أن بعث مندوبا عنه الى المغرب ليطلع الملك السعودي

عبدالله، الذي كان يقضي عطلته هناك، بنتائج زيارة الأسد.

السعودية التي كان همّها الإطاحة بالأسد حتى وإن كان عبر الإنقلاب العسكري والترويج الطائفي المذهبي ضد العلويين، ودعم المعارضة الإخوانية ورفعت الأسد وغيرهما، لم يتبق من حلمها وهي ترى تكسر حلقات الحصار إلا أن تبقي النظام السوري تحت الحصار. كأن السعودية عمياء لا ترى التغيرات على الأرض اللبنانية والعراقية والأميركية والفلسطينية وحتى الإيرانية والأوروبية، بل هي لا ترى التحولات في النظام الدولي نفسه.

لا مكان لحصار دمشق. البراغماتية الأوروبية تقبل بالامر الواقع، بل حتى الإسرائيليون أنفسهم رضخوا ولو جزئياً وبدأوا بالحوار، ومثلهم فعل الأميركيون من الخلف، لأن مهمة الأميركي (التلويح بالعصا) ليجني رجال السياسة الأوروبيون حصادهم على الأرض. السعودية لا تفهم كل هذا، فهي مقهورة من نظام الأسد وتريد مواصلة المعارك، في حين أن المعركة انتهت بخسارة السعودية منذ سنتين على الأقل! وبالتالي لا مجال لحصار سوريا، إن لم يكن الواقع هو حصار للسعودية ولحلف الإعتدال المتأمرك!

أصاب السعوديين التوتّر أكثر حين زار ساركوزي دمشق، وكذلك فعل أمير قطر ورئيس تركيا ليجتمعوا في لقاء رباعي. الحصار ليس تكسّر، بل تكسّر كثيراً، وكان اللقاء الدمشقي إيذاناً بفتح الجسور على مصراعيها. ظهرت دمشق منتصرة، فاغتاظت السعودية، رغم محاولات ساركوزي تخفيف وقع الألم على السعوديين والمصريين في مؤتمريه الصحفيين اللذين عقدهما. لكن السعودية (الغبيّة) عادت وأصرّت على مواصلة سياسة محاصرة دمشق!

ترى كيف يراد إفهام هؤلاء السعوديين أبجديات السياسة؟!

طار سعود الفيصل في ٢٠٠٨/٩/٩ الى باريس بعد أن عاد ساركوزي اليها، ليجتمع مع أمين عام الرئاسة الفرنسية كلود غيان، ليسمع بشكل مباشر عن نتائج الزيارة الفرنسية ومتعلقاتها اللبنانية والإيرانية والإسرائيلية، وما إذا كان بالإمكان تعضيد الموقف السعودي في المواجهات القادمة مع سوريا سواء على الأرض اللبنانية أو غيرها.

السعودية ـ بمالها ـ تشعر وكأنها دولة عظمى، في حين أن الدول الكبرى لا ترى فيها أكثر من صبي يعبث بأكوام من النقد، يتم التحايل عليه بين الفينة والأخرى لسلبه أكبر كميّة منها. هذا هو دور السعودية: الممول، والتابع سياسياً، أما أن يملي سياسته على الآخرين (الكبار) فهذا من الأوهام. السعودية لا يمكنها ان تجر الآخرين الكبار لحروب سياسية أو عسكرية بالنيابة عنها. لهذا افتتحنا المقالة بالأثر: رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. وآل سعود لا يعرفون قدر أنفسهم على حقيقتها!

لننتقل الى الملف الإيراني.

السعودية ممتعضة من إيران، لأنها نافستها في تبني القضايا العربية والإسلامية، ولأنها قوة تنهض في مجالات متعددة، ولأن خيار إيران السياسي يتعارض مع خيار السعودية، ولأن النجاحات الإيرانية كشفت عن عجز السعودية وعجز النظام العربي على حقيقته. ما بيد السعودية أن تفعله ليس مواجهة إيران عسكرياً، فهي تعلم أنها أضعف من أن تقوم بذلك، ولكن بإمكانها العمل داخل إيران تخريبياً من الزاويتين المذهبية والقومية. وبإمكانها صرف الأموال لتشكيل حاجز طائفي ينعش الدور السعودي، أو هكذا يراد له.

ولأنها تريد تكسير إيران باعتبارها دمّلة كما قال احد كتاب آل سعود، فإنها مع مشروع مهاجمتها. أما حصارها فهو يتم من خلال محاصرة حلفائها في سوريا وفي لبنان وفلسطين. ولكن لأن مشروع المواجهة العسكرية يتراجع مع الغرب، فإن السعودية تريد تشكيل أحزمة سياسية وطائفية مقاومة لإيران أو معادية لها.

السعودية تريد أن تلعب على الوتر الطائفي، ولأنها تستشعر العجز والفشل، تريد إيكال المهمة الى تركيا (السنيّة) التي لم يعترف الوهابيون بإسلامها يوماً (كما هو واضح من التراث الوهابي) بل يفتخرون أنهم ساهموا في إسقاط دولة الخلافة. تركيا هي المناظر الأيديولوجي لإيران، والسعودية تريد العودة الى حروب ما قبل خمسة قرون: الصفويون الأتراك الذين حكموا إيران، مقابل العثمانيين الأتراك الذين حكموا المشرق العربي والمشرق الأوروبي. لكن تركيا أذكى من أن تدخل لعبة الطائفيات، حتى ولو كان قادتها ينتمون الى التيار الديني. ونحن نرى تعزيزاً للعلاقات بين تركيا وكل من سوريا وإيران، والمصالح الإقتصادية بينهما في نمو دائم، وهما جارتان، فهل هناك من عاقل في تركيا يفتح معركة ضد جارين له بينه وبينهما مصالح اقتصادية وأمنية؟!

الخيار المفضل كان الباكستان، ولكن الأخيرة مريضة بإرهاب الوهابية، وستبقى كذلك في المدى المنظور، ولا يمكنها حل مشكلاتها فضلاً ان تحل عقدة آل سعود من ايران.

أفغانستان لا تستطيع أن تقدم شيئاً لآل سعود، بل أن النفوذ الإيراني فيها اقوى من النفوذ السعودي بعشرات المرات.

نعم حاولت السعودية جمع اندونيسيا وماليزيا وتركيا والباكستان في مؤتمر في اسلام أباد قبل عامين لتشكيل درع سني يواجه إيران التي لم تدعى إليه. ولكن المشروع فشل في مهده.

ماذا بقي أمام السعودية؟

هناك موسكو!

إذن لتشتر السعودية أسلحة روسية بمليارات الدولارات لتليين موقفها والضغط على إيران!

هذا هو الحل الأسهل للسعودية: (كب) المال! مع أن منظومة الأسلحة الروسية مختلفة عما تمتلكة السعودية من أسلحة غربية أميركية وبريطانية وفرنسية وحتى ألمانية. ولكن لا يهم الأمر، حتى لو ألقيت الأسلحة في مكب النفايات. المهم تضييق الخناق على إيران!

ولكن هل روسيا غبيّة الى هذا الحدّ، لتغيّر من نهجها السياسي ولتصبح وهي الدولة العظمى أداة بيد السعودية؟!

يا له من طموح سعودي مأزوم!

لم تنته الحفلة بشراء الأسلحة إلا والقوات الروسية في جورجيا! وإذا بالعالم ينقلب مرة أخرى في غير صالح السعودية!



موقف روسيا من ايران لا تغيره صفقة أسلحة

إيران تعلن دعمها لروسيا، والأسد يطير الى موسكو من أجل أسلحة جديدة.

وروسيا من جانبها وهي المهددة من الغرب لن تجد أمامها إلا المعادين لأميركا والغرب سواء كانوا في آسيا أو في أمريكا اللاتينية، وليس حلفاء الغرب امثال السعودية ومصر!

خبا موضوع السلاح النووي الإيراني طيلة الأسابيع الماضية، فطفق بندر بن سلطان مهرولاً الى موسكو ليلتقي بوتين، لا لتسريع صفقة الأسلحة، بل لحث الروس على تشديد موقفها من إيران وسوريا!

أليس هذا فعل يائس؟!

أهذا فعل سياسيين محترفين أم جهلة بالوضع الإقليمي والدولي؟!

لهذا فإن السعودية تعيش عالمها الخاص، وعقدها الخاصة، ولن تخرج إلا بمزيد من الجراح. فمن لا تعقله الأحداث الماضية، سيعقل بعد أن ينكسر رأسه!

الملك يسوّق بضاعة الوهابية للخارج

ليبرالية سلفية.. كيف؟!

يحي مفتي

من السابق لأوانه الحديث عن تحوّل ديني داخل المجتمع السلفي الوهابي، رغم ما يطلق من توصيفات معلّبة في الصحافة الغربية عن (ليبرالية إسلامية) يقودها الملك عبد الله، على أساس المبادرات الحوارية التي أطلقها وأشرف عليها. لا يبدو أن هؤلاء يدركون في قراءتهم للشؤون السعودية سوى ما يحاول الملك عرضه وتسويقه، وإلا فالحديث عن مشروع لبرلة دينية تقودها الحكومة السعودية يبدو باعثاً للسخرية وخصوصاً بالنسبة لأولئك الذين مازالوا يكتوون بنار التشدد الديني سواء في القضاء، أو التعليم، أو الإرشاد الديني، أو الإفتاء، إضافة إلى سلسلة ممتدة من التدابير الدينية الصارمة، والتي تتعارض جزئياً وكليّاً مع المدّعى الحواري لدى الملك أو أي من الأمراء الكبار أو الصغار.

صورتان متقابلتان برزتا مؤخراً وهما كفيلتان بكشف ما يضمره المجتمع الديني السلفي من نزوعات متقابلة، وتلفت النظر لبعض الأفكار الفردية والتصرّفات ذات الطبيعة الإعتراضية. الصورة الأولى، على سبيل المثال، قيام مجموعة من السلفيين في السادس من سبتمبر بالتجمّع أمام منزل المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ومطالبتهم بالتصدي لظاهرة التغريب، ووضع حد لهيمنة الكتّاب والمثقفين العلمانيين على وسائل الإعلام السعودية، ومنع استقبال الوفود النسائية الغربية في المملكة.

هذا نوع من الإنقسام الحاصل في المجتمع السلفي، ينزع نحو عودة راديكالية نحو الوهابية، فيما نجد في المقلب الآخر صورة أخرى يمثّلها عدد من مشايخ الصحوة الذين يمارسون خروجاً جزئياً عن الخط الحنبلي السلفي بإملاءاته الخفية والعلنية. نقرأ منذ نحو عام مقالات للشيخ عايض القرني يرسم فيها صورة أولية لتعايش بين الجماعات العقدية المتباينة، ونقرأ أحياناً لفتات فكرية لمشايخ صحويين تنطوي على جرعة عالية من النقد الذاتي بما يشير الى تفاؤل غير مسبوق من قدرة على كسر القيود العقدية التي كانت تحول دون الإنفتاح على الآخر، أو القبول به كشريك عقدي، سواء تعارضت طقوسه في جزء صغير أو كبير منها مع ما يراها الكائن السلفي بدعاً.

وبالرغم من أن الأسماء المطروحة مورد فحص دائم، ولكن يبقى الشيخ سلمان عودة، الشخصية الأبرز التي تحاول التمايز داخل الفضاء السلفي، لانشغالها على تقديم صورة أخرى عن السلفية، وربما يكون هو الرمز الذي يحاول الملك عبد الله تقديمه في مشروع الليبرالية الإسلامية في نسخة سلفية من الصعب حشد مؤيدين لها داخل المجتمع الوهابي.

ولكن السؤال: هل هو بمثابة تمرّد مدرسي يقدم عليه الشيخ سلمان العودة أم أنها السياسة التي مسّته فجعلت الإنزياحات المذهبية ضرورة سياسية تعكس جانباً من طموح مضمر لدى الشيخ العودة، الذي يجسّد مثال العودة عن مواقف مذهبية معتدلة في سياق الإستجابة للنداء الداخلي أو المدرسي الذي ما يلبث أن يضعه أمام امتحان الإيمان ورهاناته الصارمة.

هذا التمرّد بدأ منذ سنوات، على قاعدة قيل حينها بأنها مراجعة فكرية خاضها الشيخ العودة في المعتقل ثم تبلورت ضمن حالة انفتاح حذرة على الآخر، الصوفي والشيعي والعلماني، فأخذت حركته الفكرية شكلاً مضطرباً، ويصعب حينذاك تحديد مقاسات واضحة لمواقفه الفكرية والسياسية.

وشأن كل المفتونين بالقواعد الشعبية، أو العامة بحسب تعبيرهم، فإن الشيخ العودة يولي ردود الفعل الشعبية سلباً كانت أم إيجاباً أهمية خاصة، فقد تجده يتراجع بذكاء عن مواقف جرى توظيفها للتحريض عليه، وقد تجده يصعّد من درجة حماسه بعد أن يلقى تعضيداً من علماء أو أمراء كبار.

من الموضوعات الخلافية التي حسم فيها العالم السلفي رأيه العقدي منذ عقود هو الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي وصف فيه من يقوم به مبتدعاً ومشركاً. وربما صدرت أحكام ضد جماعات دينية بالتكفير والتبديع فقط لمجرد أنها تحيي هذه المناسبة الجليلة. ولذلك، يمكن فهم الحساسية التي تحيط بهذا الموضوع بالنسبة لأولئك الذين أوصدوا أبواب المراجعة فيه وفي أمثاله من الموضوعات، ويمكن فهم أيضاً مايعنيه تقديم رأي فقهي مخالف لما درج عليه العلماء السلفيون في حربهم ضد الاحتفال بالمولد النبوي.

الشيخ العودة لم يدخل الى الموضوع بصورة مباشرة، ولكنّه اختار مدخلاً آمناً إلى حد ما وقد ينسحب على موضوعات دينية كبرى مثل الإحتفال بالمولد النبوي. الشيخ العودة قال في برنامج تلفزيوني على شبكة الإم بي سي في ١٦ أغسطس بأن الإحتفال بأعياد الميلاد والزواج لا يخالف تعاليم الإسلام. وهذا الرأي، بطبيعة الحال، لا يقف عند هذا الحد بل يفتح الباب على الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، وموضوعات أخرى مرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

وفيما يبدو فإن رأي الشيخ العودة أثار جدلاً واسعاً داخل المجتمع السلفي الوهابي النجدي الأمر الذي اقتضى تدخلاً مباشراً من المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. فقد نقلت وكالة رويترز من الرياض في ٢١ أغسطس الماضي تصريحات للمفتي جاء فيها: (إن الإحتفال بمناسبات مثل أعياد الميلاد أو عيد الأم يخالف تعاليم الإسلام).

ونقلت صحيفة (المدينة) في نفس اليوم عن المفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ال الشيخ قوله (أن الإحتفال بمثل هذه المناسبات سيجعل المسلمين يتشبهون باتباع أديان أخرى كاليهودية والمسيحية). وهو ذات التخريج العقدي الذي يعتمده علماء المؤسسة الدينية الوهابية منذ عقود.

حاصل هذه المراودة الفقهية بين المفتي والشيخ العودة أن هناك من حملها على تحوّل في الأيديولوجية السلفية الرسمية، وأن ثمة ترجيحاً يحظى به العودة من قبل الملك عبد الله، على أساس زعم يقول بأن العودة يقتفي مذهباً أقل صرامة من المذهب الوهابي الذي يتبعه المفتي، وأن العودة مقرّب من الملك لأنه أقرب الى نزعته الإصلاحية. بيد أن هناك من يضع علامات استفهام كبيرة حول المدعيات الإصلاحية لدى الشيخ العودة بحجم علامات الإستفهام الموضوعة حول المدعيات الإصلاحية لدى الملك عبد الله، فليس هناك حتى الآن ما يمكن وصفه بإصلاح ديني ينبثق من داخل المجتمع السلفي، تماماً كما ليس هناك إصلاح سياسي ينبعث من البيت الحاكم، فلا هنا إصلاح ولا هناك، وكل مافي الأمر أن واقعية رثّة تعبّر عن نفسها بطريقة بدائية، يحلو لأصحابها تسميتها إصلاح، ولكنها لا تعدو أن تكون قشرة البيضة التي لم تتشقق بعد لتفصح عما يخرج منها.

رؤية إثنولوجية على الوهابية النجدية

دعوة للدولة أم دولة للدعوة

عبد الوهاب فقي

حسم علم الانثروبولوجيا الإجتماعية العلاقة بين الإنسان والطبيعة المحيطة به، مفتتحاً لأفق البحث في الحياة في مجتمع ما والمعتقدات التي تنشأ فيه وفق ظروف تلك الحياة والوشائج الناظمة للأفراد ضمن البيئة الإجتماعية التي تحكمهم. وكان السؤال الكبير الذي رافق علماء الإثنولوجيا أو علم الإجتماع يدور حول دور الطبيعة في تشكيل وعي الأفراد والجماعات بما يجعل إمكانية رسوخ معتقد ما وانحسار آخر، أو بالأحرى تحوّل فكرة ما الى عامل توحيد إجتماعي فيما تصبح فكرة أخرى عامل تمزيق في حال انتقالها خارج التربة التي نشأت فيها.

نعلم تماماً في ضوء التجربة السعودية منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، أن نجد مثّلت الحاضنة النموذجية للوهابية التي نسخت كل المعتقدات الفرعية والخاصة في النطاق الجغرافي للمجتمع النجدي، وتحوّلت الى قوة توحيدية جبّارة بحيث شكّلت قوة إدماج إجتماعية وأنتجت مجتمعاً توحيدياً بالمعنى السيسيولوجي والأيديولوجي والسياسي، فيما أخفقت الوهابية في اختراق المجالات الإجتماعية الأخرى المحصّنة عقدياً، بالرغم من انتقال وحدات إجتماعية نجدية خارج نطاقها الجغرافي.

ويمكن، بقدر من الإطمئنان، المجادلة بأن الإطار العام للمذهب الوهابي الذي تشكّل في نجد كان محكوماً لطبيعة العلاقة الحميمية بين الظروف السائدة في منطقة نجد وخصوصيات المجتمع النجدي المتجانسة والنزوع الصارم للعقيدة الوهابية إن على مستوى الأفكار أو على مستوى التطبيق، فثمة في هذا التجانس ما يصوغ قوة مجتمعية تمثل القاعدة الأساسية لانطلاقة حركة الوهابية، بعد ان تكيّف الأخيرة نفسها ضمن محدّدات التقاليد والعقلية النمطية المهيمنة على الواقع النجدي. هذه المعطيات تؤسس لرؤية حادّة تتأمل في الأمكانيات والبدايات التي من شأنها تظهير سمات المجتمع النجدي قبل ان تتمخض عنه ولادة الوهابية والتي يمكن اختصارها في التالي:

أولاً: الاستقالة الحضارية

من موقع المراقب للتحوّلات الإجتماعية والثقافية في إقليم نجد، يمكن إدراك المعنى المحدد لمقولة (نجد خرجت من تاريخ الإنسانية عشرة قرون)، فثمة دلائل سابقة وحالية تعين على فهم طبيعة المخاضات التي شهدها المجتمع النجدي وفرضت نفسها على تحوّل الدولة السعودية ذاتها، لا بوصفها تعبيراً جماعياً عن إرادة القاطنين داخل الإقليم الذي تتسيّد عليه الدولة، ولكن بوصفها ترجمة واقعية عن جدل الإنتقال بالواقع الإجتماعي النجدي. ولأن ثمة دلائل تؤكد هذه الحقيقة، فإن مصادر التاريخ البعيد والقريب لم تشر الى نشاط حضاري كانت ساحته منطقة نجد، فغالبية النشاطات الاجتماعية في الأبعاد المختلفة للحضارة لاتدل على أن سكان هذه البقعة الجغرافية كانوا على اطلاع ولو بسيط لما يجري خارج أسوار صحراء نجد، حيث كان الإعتقاد السائد بأن الأخير تشكّل مجالاً نهائياً وفي الحد الأدنى أفقاً رحباً يستوعب المجالات الجغرافية المجاورة، في زواياها المختلفة ولذلك طغى عليهم الشكل البدائي في العيش وافرازات الفكر.

وفي المجال العلمي، كمعيار لقياس مستوى التطور والتقدم في النشاط الانساني، فقد كان التعليم في نجد (رغم كونه تعليماً تقليدياً ولا صلة له بالزمان الذي يعيشون فيه) محصوراً في نطاق ضيق للغاية، وكان مرتبطاً بصورة محدّدة إما بعوائل دينية (بيوتات العلماء) أو بالعوائل الحاكمة (بيوتات الأمراء)، والى حد ما بالعوائل المنشغلة بالزراعة، أما باقي السكان فكان التعليم بالنسبة لهم تجاوزاً واقترافاً لمحظور إجتماعي، وكان القسم الاكبر من سكان نجد، وحتى القسم الذي من المفترض أنه نال قسطاً ضئيلاً من التحصيل العلمي، مشغولاً بتحصيل لقمة العيش.


الغزالي: السلفية ليست فقه أحمد بن حنبل

واذا صح توصيف قرية أشيقر في نجد بكونها مركزاً دينياً، فقد كانت وقفاً على عناصر محدودة من قبيلة آل وهبة وفروعها. وهذه الصورة عن نجد لم تبد عليها تغيرات سوى طفيفة حتى بعد قيام الدولة السعودية إذ بقي التعليم من القضايا الأشد حساسية طيلة تاريخ الدولة السعودية. وترصد كتب التاريخ السعودي قصصاً عن المساجلات العقيمة التي كانت تتفجر بين علماء الدين والأمراء حول إدخال مواد حديثة في منهج التعليم الرسمي، وكان العلماء يبدون آراء في موضوعات علمية جرى حسمها بصورة نهائية، مثل كروية الأرض ودورانها حول الشمس. وما لا يعرفه كثيرون أن تعليم البنات لم يبدأ سوى في بداية العقد السادس من القرن العشرين، بعد جدالات متواصلة بين العلماء والأمراء، ولم يتم الحصول على قبول العلماء إلا بعد أن ضمنوا

سيطرتهم على إدارة تعليم البنات.

هذه الجدالات بقدر ما أبطأت حركة التحوّل الإجتماعي في نجد وفي المملكة السعودية بصورة عامة، فإنها عزّزت من سلطة العلماء بوصفهم قوة لا يمكن تجاوزها بسهولة، وكان خيار التسوية والترضية مهيمناً بصورة دائمة، وقد ساهمت تلك الصورة وإلى حد كبير في انجاح المشروع الوهابي والقبول بكل ما بشّر به، أولاً لغياب المشروع البديل وحتى القائم ـ انذاك ـ ثم لموجة التهويل المتواصلة التي أطلقتها الوهابية وسط المنتمين إليها في غياب الوعي الديني والحضاري والعزلة الثقافية والاجتماعية عن الخارج، والتي مكنت عبر جرعة الترهيب الديني من تحصين وجودها الإجتماعي وتسويره. يفضي ذلك لمناظرة أخرى أشد حساسية، ولا تعتني كثيراً بسبر النوايا الدينية، ولكن من شأن هذا السلوك الصارم أن ينجب أفراداً يتوسّلون بالأشكال الدينية الظاهرية بهدف ضمان المصالح الفردية والجماعية المترتبة على الإنتماء للمجتمع الديني وفق القواعد المفروضة عليه، ولا ضير حينئذ القول بأن إنتماء المجتمع النجدي للإسلام كان رمزياً، وفي أحسن الأحوال كان تقليداً ورثوه عن آبائهم وأجدادهم. وينقل اليكسي فاسيلييف في كتابه (تاريخ العربية السعودية ص ٨٦) عن الرحالة الفنلندي فالين الذي طاف الجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر «إن قبيلة» عنزة» شأن أغلبية القبائل.. لا تعرف إطلاقاً الدين الذي تعتنقه، وبالكاد أتذكر، يقول فالين، أني صادقت أحداً من أفراد القبيلة الذين كانوا يؤدون الفرائض الاسلامية أو لديهم أبسط فكرة عن أصول الإسلام وأركانه الأساسية.

ثانياً: التضامن القبلي

ليس ثمة ذرة من وجود للدولة أو حتى للعالم خارج النطاق الحيوي لعمل الإتحادات القبلية النجدية، وإن ما يغلّف تلك النزوعات الضارية وجود قشرة الدولة المحيطة بتلك الإتحادات التي تمثل المعنى التام للوجود الفردي والجماعي داخل إقليم نجد. ثمة وعي قبلي لم يضعف تحت تأثير الدولة والمذهب، بل جرى تكييف العناصر الثلاثة مجتمعة كيما تحمل سمات المجتمع النجدي، الأمر الذي يحيل الى رؤية كونية شاملة تمحور المحيط العام حول الذات وتجعلها مركز الأشياء ونهاياتها.

من خلال نظرة الى هيكلية البناء القبلي تبدو أنها تقوم على أساس تكتل قبيلة أو اتحاد قبيلتين متقاربتين في النسب تقيم كيانها على موقع جغرافي تتوفر فيه ظروف العيش ويتولي زعيم القبيلة إدارة شؤون قبيلته ويقوم بدور القاضي في حل النزاعات داخل القبيلة ويتسنّم قيادة الجيش الذي تتشكل عناصره من أبناء القبيلة. تلك كانت الصورة المكثّفة لنشأة القبيلة ووظيفتها، الاّ أن التوغل في حقيقة النظام القبلي نجد أنه بالمفهوم الحديث ـ نظام مغلق يصعب التعاطي معه ويستحيل ـ غالباً ـ الدخول إليه فالتزاوج بين القبائل ـ كقضية بالغة التعقيد ـ تكاد تنعدم لان ذلك في مفهوم رؤساء القبائل يعرّض باستقلال وكرامة وهوية وتكوين القبيلة، وأن أية مغامرة يقدم عليها أحد أبناء هذه القبيلة او تلك في اختراق التقاليد القبلية الصارمة في الزواج من إمرأة خارج إطار قبيلته قد تنتهي الى اصطكاك السيوف والأسنّة في حرب لاتضع أوزارها إلاّ بعد أن ترد فيها الإعتبارات لقبيلة المرأة غالباً. إن هذه الصورة تضيء على الأحكام القضائية الجائرة التي صدرت في السنوات الأخيرة بتفكيك بعض الأسر وإبطال عدد من الزيجات بذريعة (عدم تكافؤ النسب)، وهي حالات فريدة لا تجد نظائر لها في مناطق أخرى من المملكة فضلاً عن مناطق أخرى خارج الحدود.

وكما القبلية، فقد كانت البداوة صنواً للتزمت والإنغلاق، بل إن الوعي القبلي يتشكّل ضمن حدود تقاليد وأعراف القبيلة نفسها، وما يجري خارج هذا السور المحكم فلا يثير الإهتمام من أي نوع، إلا بما يحرّك في صاحبه شهوة الغزو، وكانت النظرة السائدة بين القبائل وبعضها أن التشكيلات الإجتماعية التي تعيش قرب بعضها يضطرم لديها عنصر التحدي والعداء من العناصر المتفوّقة في اهتمامات القبائل كافة، لأن كل قبيلة تنظر إلى الأخرى كطرف منافس يهدد حياتها ويطمع في ابتلاعها.

ثالثاً: اخلاقيات الصحراء

توضح بحوث وكتابات علماء النفس الاجتماعي والإنثروبولوجيا الإجتماعية أن للطبيعة دوراً أساسياً في بلورة وتنميط أخلاقيات المجتمعات البشرية، ويترافق التمايز في البقع الجغرافية مع السلوك الأخلاقي والتكوين النفسي لكل جماعة. فالمجتمعات النهرية مثلاً تكون مفعمة برقّة القلب، وبساطة الطبع، وانشراح الصدر، وبشاشة الوجه، وكذلك المجتمعات الزراعية التي تخاطب جنساً طبيعياً وتتعامل معه بالرعاية والاهتمام، فإنها تكتسب أخلاقيات التربة التي تزوّد صاحبها بكل آيات العطاء وقيمة العمل والعلاقة الروحية مع الطبيعة، وكذلك بساطة العيش وتواضعه والإحسان إلى مصدر الخير.

إن التركيب النفسي والاخلاقي لكل مجتمع يتأثر سلباً أو إيجاباً بظروف الطبيعة، وعليه فان أخلاقيات المجتمع الصحراوي تختلف عن غيرها من أخلاقيات المجتمعات الأخرى التي تتباين في الظروف الطبيعية المعاشة. فإذا أقام على الصحراء القاحلة مجتمع قبلي غير مستقر، يرى في غزو الآخر ومصادرة ممتلكاته، والمكر به حقاً ومصدر وجود، وفي مرحلة لاحقة يتحوّل هذا الغزو جهاداً وفريضة دينية، تصبح العلاقة بين الأنا والآخر قائمة على الإفتئات والإثرة والهيمنة وليس التكافؤ والمساواة والعدل.

مخاضات التحوّل الإجتماعي والثقافي في نجد فرضت نفسها على الدولة وهي المسؤولة عن بطء حركة الإصلاح على مستوى الوطن

وفي دراسة المجتمع النجدي يظهر أنه كان مجبولاً على الخشونة، وتتعزز الأخيرة من خلال العلاقة مع الصحراء القاحلة، التي كان ينظر اليها إنسان نجد على أنها عدو يحب محاربته والتغلب عليه فقد ازداد إصراراً على شق الصحاري وإن طال عليه الأمد. ربما نجحت الدولة السعودية في ترويض الصحراء بعد الهيمنة على المناطق الأخرى التي تزوّد الجماعة الغالبة بمصادر الثروة، حيث حصد النجدي ما جعله ثرياً مكتفياً عن الخصومة مع الصحراء بتحويلها الى مصدر إمتاع وإيناس له. ولكن ذلك التحوّل لم يكسر أنساق التفكير النجدي المرتبط بنمط العلاقة مع الصحراء، فقد حافظ على نظرته المواربة تجاه الآخر غير النجدي، وبقي يقظاً لما هو مهيمن عليه، حتى لا يعود أسيراً لصحراء جلبت إليه معاناة وأنهكته في رحلات متواصلة للبحث عن لقمة العيش.

لم يجد بدو الصحراء وقتاً لاسترداد العواطف وإيقاظ الرحمة والحب في قلوبهم لأن قساوة الصحراء فرضت عليهم أن يحاربوها بسلاحها حتى أصبح هذا السلاح أصلاً أخلاقياً في حياتهم الإعتيادية، وبساطة الرؤية لدى النجدي حول العالم من حوله لم تغيّر في طبعه وتفكيره، بل وموقفه من الآخر، سواءً كان هذا الآخر شريكاً له في الوطن، أو نظيراً له في الإنسانية، فالكل يصبح سواء حين تكون المصلحة وحدها معياراً في العلاقة.

رابعاً: التمذهب النجدي

لنجد طريقتها في فهم الدين، ولها أيضاً طريقة في التعبير عنه واعتناق الشكل الذي ترتضيه، وتريد تعميمه. وإذا كان مذهب الإمام أحمد بن حنبل قد عرف عنه التشدّد في الإلتزام الحرفي بأحكام الدين، فإن الوهابية النجديّة قد جعلت منه مذهباً مغالياً في التطرف ضمن رؤية خاصة تختلف عما هي عليه في باقي المذاهب، بحيث أن التحليل الوهابي المحنبل للتراث الديني يكاد يكون أسلوباً غير مألوف لدى المكوّنات المذهبية الأخرى كونه لا يعكس ديناميكية المفاهيم الاسلامية المنسجمة وتطورات المجتمعات البشرية. فقد تميّز المذهب الوهابي كرائد للإتجاه السلفي في الوقت الراهن والتزم في تطبيق الأحكام الدينية بصورة حرفية دون النظر في المصلحة العامة للمسلمين ودون التركيز على المقاصد النهائية لروح الأحكام.

اما كيف انتقل المذهب الحنبلي الى منطقة نجد قبل القرن التاسع الهجري، فيجد إبن عثيمين (تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٥١) مبرراً لذلك بقوله (لم يكن غريباً ان يجد المذهب الحنبلي أرضاً خصبة في نجد ذلك انه اقرب المذاهب الى ظاهر نصوص القرآن والسنة وهو بهذه الصفة يمثل البساطه الى حد ما. والبساطة من الأمور المحببة الى نفسية الفرد النجدي..). وبالرغم من أن هذا المبرر يبدو بسيطاً في ظاهره، ولا يعكس طبيعة العوامل المساهمة في احتضان نجد للمذهب الحنبلي، إلا أنه يلمح إلى عامل هام يتمثّل في الإنسجام بين طبيعتي المذهب الحنبلي والمجتمع النجدي.

وفي تكثيف شديد لدور العوامل الأربعة مجتمعة في صوغ العلاقة بين نجد ـ الأرض، ونجد ـ المجتمع، ونجد ـ المذهب يظهر أن تظافرا صلباً لسمات محدّدة مشتركة شكّلت مقومات المشروع الوهابي النجدي، وإن نجاح هذا المشروع يتّكل على مسرح إجتماعي يتوافر على شروط خاصة فريدة تفتقر إليها الأقاليم الأخرى ومجتمعاتها.

نهج المؤسس

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣م في بلدة العيينة بنجد وعاش في بيت والده الذي كان يزاول مهمة القضاء حسب الفقه الحنبلي، فتربّى على المذهب الحنبلي وأخذ عن أبيه تحصيل العلوم الدينية مستفيداً منه في التعرّف على الأحكام القضائية وطرق تطبيقها ثم سافر إلى الحجاز والتقى بالشيخ عبدالله بن سيف، وتوثقت علاقته به في رحلته الثانية إلى الحجاز فدرس على يد الشيخين بن سيف ومحمد حياة السندي وشجّعاه على دراسة وقراءة كتب إبن تيميه، وكان السندي من أشد المعارضين للتعصب المذهبي وانفرد في دعوته الى فتح باب الاجتهاد.

أتمّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب شوطاً في مضمار علوم الفقه والحديث والتفسير مستلهماً من طريقة شيخ الإسلام إبن تيمية (١٢٦٢ ـ ١٣٢٨) في نمط التفكير والتزمت في إصدار الاحكام. وكان ابن تيمية الذي ترك نحو ٥٠٠ مؤلفاً حسب بعض التقديرات يقول بالإجتهاد ويخالف الحنابلة في ذلك، غير أنه ملتزم بكل ما جاء به ـ فيما دون ذلك ـ الشيخ أحمد بن حنبل، وشهر سلاح التكفير ضد من خالفوه في اعتقاداته الفلسفية كالغزالي والشافعي حتى قالوا عنه: أنه كفّر الأمة الإسلامية جمعاء (راجع النقشبندي: ردود على شبهات حول السلفية ص ٢٤٧).

على أية حال، لم يمض وقت طويل من التحصيل العلمي حتى أصبح الشيخ محمد بن عبد الوهاب أشدّ تطرفاً من ابن تيمية و أحمد بن حنبل، فكان يعلن صراحة عن آرائه المتطرفة بين علماء المدينة الى أن تم طرده منها، حسب جون فيلبي (تاريخ نجد ص ٣٥). وعاد أدراجه الى مقره في العينية، الاّ أنه باشر في التعبير عن معتقداته. يقول بن عثيمين في (تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٦٥) ما نصه: (ولكنه لم يكن مؤهلاً تأهيلاً علمياً كافياً حتى أنه كان ينكر بعض الأمور دون دراية بأمور الدين الاسلامي). ويوضّح أيمن الياسيني هذه النقطة في كتابه (الدين والدولة في المملكة العربية السعودية ص ٢٩): (ويبدو أن انتقاده كان من العنف بحيث قابله العلماء حتى والده لمعارضة شديدة).

عثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، بادئ الأمر، على أرض لم تكن على درجة كافية من التأهيل للقبول بأفكاره العقدية ذات الطّبيعة الصارمة والإقتلاعية، خصوصاً وأنه لم يكن يحرز مستوى علمياً عالياً وقدرة ذهنية كافية للوقوف قبالة أساطين نجد، فقرر مغادرة العيينة بعد سنة من قدومه من الحجاز باتجاه البصرة، فعكف على دراسة الفقه والحديث وبقي ملاصقاً للشيخ محمد المجموعي وأخذ عنه علوم المذهب الحنبلي ما غرس في داخله تطلعاً راديكالياً جرى ترجمته في هيئة تغيير إنقلابي في المجتمع النجدي..لم يفلح في تسييل أفكاره وسط المجتمع البصراوي، سوى إثارته للخلافات العقدية بصورة حادة ومثيرة، ولذلك (رأى المسؤولون هناك أنه مثير للقلاقل واضطروه الى مغادرة البصرة) بحسب إبن عثيمين في (تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٦٧).


أيمن الياسيني: ابن عبدالوهاب كان عنيفاً

ربما تكون التجربة الفاشلة التي مني بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البصرة قد نسجت قناعة جديدة بعد أن أوصدت الأبواب أمام دعوته، وألا سبيل الى فتحها سوى عبر التوسّل بالقوة، أي عبر سلطة قادرة على تأمين وحماية الدعوة الوهابية. وجد الشيخ إبن عبد الوهاب في مسقط رأسه وبين أهله وعشيرته من يتعهّد حمل مشروعه الدعوي، فعاد الى العيينة وتداول الأمر مع حاكمها عثمان إبن معمر فقدّم الأخير ضمانات لابن عبد الوهاب لحماية دعوته بعد أن زوجّه إبنته (الجوهرة)، وبحكم الروابط العائلية إنتقلت الدعوة إلى مرحلة جديدة لتكون بداية المسيرة الوهابية لتلتقي مع المشروع السعودي في رحلة طويلة من العمل المشترك بما يحقق غايتين زمنية ودينية.

الوهابية..مدرسة إصلاحية أم حزب السلطة؟!

أطلق التحالف الوهابي السعودي سنة ١٧٤٤ مشروعاً طموحاً يقوم على التصاهر بين مفهومي الأمة والدولة، أو بين الغايات الدينية العليا والأغراض السياسية الخاصة. إن التأمل في الطريقة التي تمّ بها تحويل الوهابية الى مشروع سياسي طموح نواجه حقيقة كون النتائج لا تعبر بالضرورة عن المفاهيم الجوهرية للإسلام بقدر ما تعكس تطويع تلك المفاهيم في الحياة الإجتماعية والسياسية بالقدر الذي يجعلها قابلة للتثمير السياسي، ولا شأن لها بالضرورة بالتفاوت في القرب والبعد من تلك المفاهيم. يكفي نفي ذلك الزعم بأن الشعارات الدينية التي حملتها الوهابية كانت تتعارض مع واقع التعددية المذهبية على المستويين

المحلي والإسلامي بصورة عامة، كما هو الحال في موضوع الإجتهادات الفقهية والتي لاتخرج من كونها أحكاماً ظنية قابلة للموافقة أو المخالفة مع جوهر الأحكام الإسلامية سيما في الموضوعات ذات الطبيعة الخلافية وغير المحسومة والتي هي موضع اختلاف بين المذاهب الإسلامية وخاصة مع تطورات الزمن وبروز قضايا جديدة في واقع المجتمع الإسلامي والتي هي بحاجة إلى حلول إجتهادية مستندة إلى الأصول الدينية وتتوافق وروح العصر، وهو أمرٌ طالما أكدَّ عليه فقهاء المذاهب الإسلامية بالإجماع وتأتي الوهابية كانبثاقة لمبادرة غضّة وكشكل متطرف للحنبلية في محاولة لإيجاد بعث سلفي متزمت لا يقر بحقائق التطور الإجتماعي والتعددية المذهبية والثقافية وإشكالات التوفيق مع متطلبات كل مرحلة، فاستندت الى التوجيه السلفي، وأوصدت باب الإجتهاد، وذلك بعد أن قال علماء الحنابلة أن لا باب بعد الخلفاء الراشدين للإجتهاد، (وأن كل ما في الكتاب واضح جلي)، أمين الريحاني ـ تاريخ نجد الحديث، ص ٤٨.

جاءت مؤلفات ابن عبد الوهاب التسعة عشر لترسم خطّاً صارماً في السلفية الفقهية والمعرفية لتصب في توظيفات فقهية طويت منذ زمن بعيد، وتناولها العلماء منذ قرون. يقول جلال كشك في كتابه (السعوديون والحل الإسلامي): (إن قراءة كتب محمد ابن عبد الوهاب ومنشوراته تعطي انطباعاً وكأنه يعيش خارج التأريخ، فليس له من تعليق على حدث معاصر خارج محيطه بل يناقش قضايا فقهية سبق بحثها وصدرت فيها إجابات حاسمة.. قبل مولده بقرون عديدة). يوافقه في الرأي الباحث أحمد مصطفى أبو حاكمة (تاريخ شرقي الجزيرة العربية) بقوله (ليس ثمة شيء جديد في مذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب).

ان مجرد القراءة في كتابات الأمام للشيخ محمد بن عبدالوهاب امثال: التوحيد ، وكشف الشبهات ، الكبائر ومسائل الجاهلية، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، ونواقض الاسلام وغيرها من المؤلفات والرسائل نخلص الى أنها ليست ذات عمق أيديولوجي ورصانة فكرية، ومن جهة ثانية إن ما ورد فيها من أحكام قطعية مستمدة من التراث التيولوجي الحنبلي.

وتبدو السلفية كمحور رئيسي في منطلقات العقيدة الوهابية والطريقة المتبعة في الممارسات العبادية أقوالاً وافعالاً عند اتباع هذه العقيدة ، واستدل السلفيون على أن الحلال هو ما حلله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وجرت عليه عادة السلف من بعده، وأن كل جديد طارئ من بعده صلى الله عليه وسلم بالضرورة لم يحلله وأن سيرة اصحابه تدل على عدم المخالفة!!

والحال أن الوهابية وقعت في خلط مفهومي ولم تميّز بين الجانب الديناميكي والمتطور في الاسلام والجانب الثبوتي، كما في مثال الصلاة كفريضة دينية ثابتة، فهل ينكر على المسلم أن يؤدي الصلاة على سطح القمر لأن سيرة السلف الصالح خالية من هذه الوقائع؟.

وبتعبير فقهي أن علماء الاصول في عامة المذاهب الاسلامية تتفق على أن هناك اختلافاً بين القضية التعبدية والقضية التوصّلية وأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم سالفة الذكر تأتي في سياق القضية التعبدية من صلاة وصوم وحج وزكاة وجهاد وما اشبه اما في القضايا التوصّلية كغسل الثياب وخياطتها ولبسها وركوب الدابة وبما في ذلك السيارة والأعتقاد بكروية الارض ليست من القضايا التي شملها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، إذ لم يركنوا الى طريقة واحدة مع وجود أفضل منها، ويقول الدكتور محمد رمضان البوطي في (السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ص ١٤ ـ ١٥) ما نصّه: (ولكن السلف أنفسهم لم يكونوا ينظرون الى ما يصدر عنهم من أقوال وأعمال وتصرفات، هذه النظرة القدسية الجامدة التي تقتضيهم أن يسمّروها بمسامير البقاء والخلود ويجعلوا من شأنهم معها ما يشبه المدينة المسحورة).

وباستثناء المفاهيم العقدية الكبرى التي أريد لها أن تتحوّل إلى ساحة حرب الوهابية مع الآخرين، فإن موضع الإثارة يكمن في قشرية التوجيهات الوهابية، حيث كانت معالجاتها محصورة في قضايا جزئية في مجال العبادات بينما لم تطرق باب المعاملات (وهو مجال رحب وواسع وضروري ويحتاج الى مواكبة ورأي حاسم في المستجدات الطارئة عليه) سوى في مرحلة متأخرة وبصورة بدائية أحياناً.

ويمكن الزعم، أن مجهودات الوهابية بلغت من التسطيح الى حد الانشغال الكثيف على موضوعات عقدية محسوبة مثل الشفاعة والنذر وزيارة القبور، معتبرة إياها مجتمعة المفهوم الكلياني للإسلام دون أن تدخل في هذا المفهوم موضوعات ذات صلة بالواقع المعاش وخصوصاً موضوعات النظام السياسي الإسلامي، والحلول الإسلامية للمشكلات الإقتصادية والإجتماعية والفكرية المستجدة، وبذلك لم تستوعب نظرية متكاملة حول الدين. ويبدو الوعي الديني لدى الوهابية منحبساً في مجالات العقوبة والردع والأبعاد الأخروية التي تلتقي وأغراض ترسيخ السلطة السياسية وتعزيز وجودها.

لقد صوّرت الوهابية الدين الإسلامي وكأنه حقل مزروع بألغام من كل جوانبه، ممثلة في قائمة المحرمات التي أوجدتها الوهابية، وأن المباحات تمثل تلك الطرق الرقيقة المحفوفة بالمخاطر في ذلك الحقل، بحيث أبطلت فعل الأصـول في رسم نسق متوازٍ وفي الوقت نفسه متوازن بين الفطرة البشرية وطبيعة الحاجة في إطـارهـا المشروع. ولأن الدعوة الوهابية إنطلقت من قاعدة أن كـل مـا هـو في خـارج إطارها كفر محظ لتوجد لنفسها مبررات الدعوة والإنتشار العنيف، لذلك لم تتعامل مع المفاهيم الدينية إلا بما يعزز موقفها فكثّفت في مراحل طويلة إهتمامها على المحكوم لا على الحاكم، فجاءت أحكامها على المجتمع في صيغة رعب ديني ينذر بالجحيم والهلاك والعقارب والقطران بينما ذهبت في تسامحها الديني في أمر الحاكم الى أن أعطته صفة (ظل الله في الارض) لا يجوز مخالفته أو حتى مسائلته عما يزاوله من أعمال، وان تعارضت مع مصالح الأمة، لأن مخالفة الحاكم، في الأدبيات العقدية الوهابية، خط أحمر يودي بصاحبها في النار وكما يقول فاسيليف (تتضمن مؤلفات مؤسس الوهابية أحكاماً لا لبس فيها، وهي تجسّد مصالح الوجهاء وموجهة ضد الفقراء فالجمهور البسيط يجب أن يخضع لأصحاب السلطة.. وأن عذاب الجحيم من نصيب كل متمرد على الأمراء)، (تاريخ العربية السعودية ص ٩١).

ثمة وعي قبلي لم يضعف تحت تأثير الدولة والمذهب، بل جرى تكييف العناصر الثلاثة مجتمعة كيما تعبر عن الذات النجدية ورؤيتها الكونية

أما كيف نجحت الوهابية في بناء وتعميم نموذجها الديني بما يشتمل عليه من نتائج فقهي بطابعه النقدي، فإنها ركنت في صياغة أحكامها على أساس مصادر أربعة في التشريع: الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح والإجماع. كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما نصه بأن (الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب وما قاله وعمل به الأصحاب وما اختاره الأئمة الأربعة..في الأحكام المتبّعة فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع). (أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث ص ٤٩).

فأرست الوهابية الأساس النظري للإسلام وفق الكتاب والسنة،

والجانب التطبيقي منه وفق سيرة السلف الصالح والإجماع. بيد أن هذا التحديد يبقى في حدوده النظرية المحض، فثمة تحديد توضيحي لتلك المصادر التشريعية، حيث تبقى الأخيرة خاضعة للتفسير الوهابي المحض، كما يتجلى في الإعلاء من مكانة الرموز المدرسية السلفية. فقد ذكر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (لست أعلم أحداً يجاري ابن تيمية في علم الحديث والتفسير بعد الإمام أحمد بن حنبل)، وذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتاب (الرسالة ص ٥٣) كلاماً مماثلاً بما نصه (وعندنا أن الإمام إبن القيم الجوزية وشيخه ـ أي إبن تيمية ـ إماما حق من أهل السنة وكتبهما عندنا من أعز الكتب).

وقد جاء من سلالة الشيخ من نقض هذين القولين، حيث ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤٥٤) ما نصّه: (والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان بل نهوا عن تقليدهم اذا استبانت السنة لعلمهم أن من العلم شيئاً لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء).

وقد واجهت المدرسة الوهابية انتقادات واسعة من قبل علماء المسلمين، ووضعت نزوعاتها المتشددة في إطار التصادم مع المفاهيم الإسلامية النقيّة، خصوصاً بعد أن بدأت تكشف الوهابية عن سلوكها العنفي. فقد كتب إبن سند البصري في (تاريخ بغداد ص ٢٣): (أن أتباع ابن سعود عندما قتل طعيس العبد الأسود ثوينياً (شيخ المنتفق في الفرات الاوسط) مدحوه وحمدوه بقتل ثويني لكونهم يعتقدون كفر ثويني بل كفر جميع من على وجه الارض من المسلمين الذين لم يعتقدوا معتقداتهم).

وبلغ الحال في حروب الوهابيين ضد مناطق المسلمين إلى حد استباحة تلك المناطق ونهب ثرواتها وقتل سكانها وسبي نسائها وقتل رجالها دون تمييز وتخريب دورها وعمارها وإشعال النار في مكتباتها، التي تضم كتب الفقهاء الذين يرون كفرهم ثم يعودون الى مقارهم وكأنهم عادوا من فتح إسلامي مبين وتأدية واجب ديني عظيم، في مقاتلة الكفار والمشركين. وكتب أحمد أمين في (زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٢٠): (إنها ـ أي الوهابية ـ حيث استولت على بلد نفذت تعاليمها بالقوة ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها).

والسؤال الكبير يبقى شاخصاً: هل حققت الوهابية أهدافها؟ وهل استجابت المناطق التي خضعت تحت تهديدات المشروع الدعوي الوهابي؟

كل المؤشرات تفيد بأن الوهابية أوجدت حالة من التماسك في صفوف أتباع المذاهب الإسلامية الاخرى (فبعد مضي عشرات السنين على الدعوة الوهابية وبعد تنظيم عشرات الغزوات ماذا كانت النتيجة؟ فالمسلمون في عامة اقطار العالم الاسلامي لم يتغيرا فهم كما هي عليه) (أحمد أمين، المصدر السابق). بل ربما أحدثت الوهابية ردود فعل متطرفة على ممارساتها العنفية، وربما على الإسلام أحياناً. وينقل جلال كشك في (السعوديون والحل الإسلامي ص ٤٥) تجربة زعيم مصر الفتاة أحمد حسين مع النظام السعودي بقوله (جاء المملكة عام ١٩٤٨ إنقلابياً متطرفاً وعاد منعها إشتراكياً أكثر تطرفاً.. وقيل أنه قبض وأصدر بالمال السعودي جريدة الإشتراكية)، وذلك بهدف الاطاحة بالملك فاروق حاكم مصر الاسبق.

وإذا نجحت التجربة الوهابية في الجزيرة العربية لظروف قد أشرنا إليها فإن محاولات تكرار هذه التجربة لم يكتب لها النجاح، بل كان الفشل حليفها منذ البداية وهو ما حدث في الهند التي قاد منها السيد أحمد خان بعد حج عام ١٨٢٢م رغم علاقته الوطيدة بالإنجليز وهكذا شريعت سنجلجي الذي حمل لواء الوهابية في إيران وكان على علاقة وثيقة برضا شاه الذي قدّم له الدعم المادي والمعنوي للتبشير الوهابي وهكذا محاولات الإمام السنوسي والامام الشوكاني والشيخ محمد رشيد رضا، وهي محاولات إنتهت إلى الفشل.

واذا كان مذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد سبق هذه الوقفة وقفات من قبل عشرات العلماء ممن ناقشوا أو عارضو وردّوا عليه بدءً من أبيه عبدالوهاب وأخيه سليمان وبعض علماء نجد والحجاز والأحساء وانتهاءً بعلماء من مختلف الاقطار الاسلامية والذي وردت أسماؤهم في كتاب السيد إحسان عبداللطيف البكري (الوهابية في نظر علماء المسلمين) فإن هذه الوقفة تحاول أن تضيف شيئاً جديداً وهو البعد السياسي للمشروع الوهابي على ان لا تحيد عن استعراض الأبعاد الأخرى ولا سيما البعدين الديني والإجتماعي.

وقد واجهت النزعة السلفية الضيّقة لدى الوهابية اعتراضات من قبل علماء المسلمين، وكتب الشيخ محمد الغزالي في كتابه (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) (رأيت أناساً يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل). وترتب على مفهوم السلفية في عقيدة محمد بن عبدالوهاب مفهوم آخر بعد المرحلة التالية المنشق عنها من الناحية الموضوعية وهو مفهوم البدعة، الذي يأخذ معنيين مختلفين فيعرّف الوهابيون البدعة بأنها (كل اعتقاد او عمل لايقوم على اساس من القرآن او الحديث اوسابقة من الصحابة) (أصول الإيمان وفضائل الإسلام المجلد الأول ص ٢٢٥)، وهو تعريف يخالف ما تواطأ علماء المسلمون عليه من أن البدعة هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية. أما المعنى العام للبدعة فهي حسب الشيخ البوطي (إحداث شيء جديد على الأصل يقصد بها المبالغة زيادة أو نقصاناً في السلوك التعبدي).


الشيخ البوطي: السلفية ليست مذهباً

وفي واقع الأمر أن الوهابية تطلق البدعة ـ دون تمييز ـ على كل أمر حادث جديد توصلياً كان أم تعبدياً طالما لم يرد عليه نص صريح ولفظ ظاهر من الكتاب والسنة ولم يعمل به الأصحاب وبذلك تنسحب البدعة على كل النتاجات العلمية والإجتماعية الحادثة بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، وبذلك تكون الوهابية قد انفردت في هذا الحكم بين عامة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وطوائفهم.

وبالطبع أن الاشكال الذي وقع فيه اصحاب هذه العقيدة سيمكّن المزج بين الأصول العامة في الشرع الاسلامي والسيرة الاسلامية المجتمعية التفصيلية. وقد تحولت البدعة، وفق هذا التفسير، إلى رادع ديني عند الوهابية لفرض معتقدها على العامة، لتصبح أيديولوجية مشرعنة للسلطة السياسية التي أفادت من النزوع المتشدد في الوهابية لجهة ضبط المنضوين داخل تخوم سلطانها.

ونتيجة لذلك، وتلخيص لما سبق فإن الوهابية جمعت بين شروط المشروع الدعوي والحزب الحاكم، الأمر الذي جعل التوجّه الإصلاحي داخل المذهب الوهابي مغموراً بفعل ضراوة الارتهان السياسي ما سلبه إمكانية التحوّل إلى حركة إصلاح ديني محض، مع فارق جوهري أن الوهابية قد تحوّلت الى أيديولوجية السلطة وحزباً لها ولكن لم تمكّنها السلطة من الهيمنة عليها، فهي توفر مبررات السلطة دون الحكم عليها.

زيارة أبو الغيط لبيروت وزيارة كرامي الى القاهرة

هل تصلح مصر ما أفسدته السعودية فى لبنان؟

أسعد الخوري

منذ زمن بعيد، لم تكن زيارة مسؤول مصري إلى لبنان تحتل الموقع الذى احتلته زيارة وزير الخارجية أحمد أبو الغيط، علماً بأن للقاهرة حضورها الخاص فى بيروت منذ الرئيس عبد الناصر، والجميع يعرف دورها فى دعم وصول رئيس الجمهورية الحالي ميشال سليمان إلى القصر الرئاسى فى بعبدا.

(كبح الجماح) هو العنوان الذى يلخّصه متابع معنيّ للحركة المصرية فى لبنان، ويقصد أن القاهرة تنظر بقلق كبير إلى ما يجرى الآن فى لبنان، وتشعر بأن الخلافات السياسية الداخلية، والتعقيدات المتصلة بالوضع الإقليمي وطبيعة العلاقات العربية – العربية، من شأنها تعقيد الأمور أكثر فى لبنان، وبالتالى فإن المطلوب لمنع الانفجار الشامل هو كبح جماح كل الأطراف المتورّطين فى الأزمة اللبنانية الحالية، ومن دون أن يتوغل كثيراً فى الشرح، وترى مصر أن هناك سلوكاً سعودياً غير موفق، ومن دون مقدمات إضافية أو حرج. يضيف صاحب هذا الرأي: إن

> **القاهرة تريد الحد من خسائرها عبر الإبتعاد عن سياسة الانحياز التي تمارسها الرياض والتي تورطت في تجاذبات مذهبية وأمنية**

من يفكر فى الاتكال على المجموعات الأصولية لتحقيق مكاسب سياسية مخطئ تماماً، ومصر تعطي دروساً فى هذا المجال، وهي سوف تكون على خلاف مع أى جهة فى العالم تحاول إقامة تحالفات علنية أو مستورة مع الأصوليين.

لكن الأمر قد لا يكون على هذه الصورة فقط، إذ إن ما تراه مصر مناسباً للبنان اليوم، قد لا يكون هو نفسه ما تراه سوريا أو السعودية، هذا قبل أن يكون مناسباً لما يراه اللبنانيون أنفسهم، ولا سيما أن ما يعرف بـ(الانطباع) عن موقع مصر من الصراعات القائمة، لا يقدمها كطرف محايد، أو له مسافات متساوية من أطراف الأزمة الداخلية، كذلك فإن مصر تتخذ موقعاً سياسياً فى العالم العربي يجعلها أقرب إلى التحالف المتناغم مع السياسة الأميركية فى المنطقة، وهي لم تقدم حتى اللحظة نموذجاً يعطيها مكانة متقدمة تسمح بتحولها إلى قطب يلجأ إليه الجميع، ولذلك فإن الحذر والخشية والتحسب من أي خطوة مصرية الآن فى لبنان ستكون أمراً حقيقياً وجزءاً من جدول أعمال قسم كبير من القوى ومن الجمهور أيضاً. وهذا ما يعكس النقاشات التى ستقوم من الآن فصاعداً حول ما تنوي مصر القيام به. لكن ماذا تريد مصر الآن؟

فى ظاهر الأمر، وكما يقول مطّلعون، فقد أنشئت لجنة من القيادة المصرية لمتابعة الوضع في لبنان، وعقدت سلسلة من الاجتماعات وناقشت كمية من التقارير المتنوعة حول الأوضاع الأمنية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والطائفية والمذهبية، مع قدر وافر من التقارير ذات الطابع الاستقصائي، حتى لا يقال الاستخباري، بما يمكّن من توفير قاعدة بيانات صالحة لتحديد التوجه واتخاذ القرار.

وحتى وقت غير بعيد، كانت القاهرة تشعر بأن هناك إمكاناً لمعالجة الأزمة من خلال حوار لبناني – لبناني. لكن حوادث مايو الفائت جعلتها تفكر بالأمر من زاوية مختلفة، وما حصل من تداعيات حتى اليوم، يجعل مصر بحسب مطّلعين على وجهة نظر رسمييها، تتخذ موقعاً إلى جانب ما اتفق عليه فى الدوحة، وهو أمر تعدّه اليوم من ثوابتها، وترى أنه لا يمكن تجاوزه، وأن محاولة التنصل منه والاستمرار فى منطق المواجهة ستجعل صورة ما يجري فى طرابلس صورة عامة عن كل لبنان.

لم تكن القاهرة توافق السياسة السورية فى لبنان، وهي وإن حافظت على تواصل ولو بالحد الأدنى أو عبر مسارب أمنية أو سياسية من خلال لبنانيين، فإنها لم تتعمد استفزاز دمشق، ومع أن سوريا لم ترتح لمقاطعة الرئيس المصري القمة العربية الأخيرة، إلا أنها لم تبادر من جانبها إلى فتح معركة مع القاهرة، لكن سوريا عبّرت بطرق مختلفة عن رفضها للموقف المصري الذى يحمّلها بشكل أو بآخر القسم الأكبر من المسؤولية عما جرى فى لبنان. لكن تبدو القاهرة أخيراً، مضطرة إلى مراجعة لمقاربتها الملف اللبناني، بعدما شعرت بأن حليفتها السعودية دخلت عنق الزجاجة، ولامست حد الخطر بمبادرة جهات فى

> **القاهرة مضطرة لمراجعة مقاربتها الملف اللبناني، بعدما دخلت السعودية عنق الزجاجة ولامست حد الخطر حين اعتمدت على الوهابيين لمواجهة أعدائها**

السعودية سياسية وأمنية ودينية إلى طرح شعار الاتكال على الأصولية لمواجهة ما تعتبره الرياض أعداءها وأعداء حلفائها فى لبنان.

وهو ما دفع بالقيادة المصرية، بحسب أكثر من مصدر، إلى لفت انتباه الجهات المسؤولة فى السعودية إلى مخاطر خطوة كهذه، وتنبيه هؤلاء بأن المجموعات التي تتقاتل فى شمال لبنان تحظى بدعم وتمويل من جهات كثيرة، من لبنان ومن خارج لبنان لا من طرف واحد فقط.

ولأن طرابلس تمثل بالنسبة إلى المصريين حجر الزاوية فى الملف الخطر الذى يحدق بلبنان الآن، وجدت القيادة المصرية أن فكرة التواصل مع الجميع تتطلب مقاربة مختلفة تنطلق من الشمال، وكان التواصل مع الرئيس عمر كرامي، الذى يمثّل بالنسبة إلى المصريين عنواناً حقيقياً لا مفتعلاً، كما يمثل نقطة تماس مع جميع الأطراف ولا يمكن التعامل معه أو تصنيفه وفق قواعد فريق ١٤ آذار فى لبنان، علماً بأن المصريين كانوا يعرفون أن كرامي سيقول أمامهم ما يراه منصفاً بحق الجميع، وهو لا يبدو فى موقع من يمكن تعريضه لعملية

إغواء أو إغراء من النوع الذى ينقله من موقع إلى موقع، برغم أنه قال هذا الكلام بصراحة شديدة خلال لقاءاته المختلفة في مصر والتي توّجها مع الرئيس حسني مبارك.

وبحسب المتابعين فإن مصر التي تدرك خطورة المشكلة السعودية - السورية ترى أنها غير قادرة على المبادرة الآن، ويرى محللون ان



كرامي ومبارك: دور سعودي فاشل ومدمر

القاهرة عاجزة عن لعب دور فعال فى بيروت بدون رضى وضوء أخضر من دمشق.

وقد أثار المسؤولون المصريون مع كرامي الأمر من زاوية ما يجرى فى الشمال، وهو قدم إجابات بطريقة واضحة: هذه المعركة تتطلب أكلافاً كبيرة، ولنفترض أن بعض المجموعات الحليفة لسوريا تلقت منها الدعم، فهل لي أن أعرف هوية من يتولى تسليح الآخرين وتمويلهم؟ نعم هناك دور سعودي فى هذا الجانب ويجب الإقرار به. ولذلك - تابع كرامي - أرى أن من الواجب التعامل بواقعية مع ما يجرى عندنا.

فسوريا دولة قوية ولها نفوذها القوي، ومن يفكر فى تجاوزها أو العمل ضد مصالحها

مصر لفتت انتباه السعودية إلى مخاطر دعم الوهابيين في طرابلس بالمال والتحريض المذهبي، وكرامي أبلغ القاهرة عن دور سعودي في إشعال الفتنة

فلن ينجح في شيء، والأكيد أن مصر يجب أن تؤدّي دوراً مركزياً ومكثفاً فى ترتيب العلاقات بين سوريا والسعودية، وهذا سيكون له تأثيره الإيجابى الكبير.

يبدو أن كرامى سمع من بعض من التقاهم كلاماً لا يجعله متفائلاً بإمكان حصول شيء كبير على هذا الصعيد، ما اضطره إلى إثارة الأمر بوضوح أكبر مع الرئيس المصري وطالبه بأن يبذل جهداً شخصياً فى هذا المجال، وهو انتزع منه موقفاً فى هذا الإطار يفيد بأنه سيقوم بما يراه مناسباً وبسرعة كبيرة.

وهذا الأمر توضحه جهات مطلعة على الموقف المصري قائلة إن الاتصالات مع سوريا قائمة، وإن هناك جهوداً كبيرة لترتيب الأمر بينها وبين السعودية، ولكن يجب الانتباه إلى أن المشكلة بين الجانبين معقدة جداً، وهناك جوانب شخصية لها تأثيرها أيضاً، وحتى فى القاهرة هناك من يوافق السعوديين على بعض الملاحظات.

وأكثر من ذلك، فإن كرامي بدا حريصاً على مصارحة القيادة المصرية بما لا يمكن أن يسمعوه من آخرين، وقال لهم صراحة: (نحن نتفهم سعى البعض إلى توحيد موقف القادة السنّة فى لبنان، لكن ذلك لا يمكن أن يتم تحت عباءة سعد الحريري، وهذا أمر لا يمكن القبول به، كما لا يمكنني أنا أن أقبل بتوحيد السنّة فى مواجهة الشيعة، بل أرى أن عليهم التوحّد خلف عنوان المقاومة وخلف عنوان حماية الدولة وإعادة بناء هذه الدولة).

وحسب المطلعين فإن كرامي سمع من محدثيه المصريين أجوبة صريحة من نوع (نحن لا نريد سوى تعزيز الحوار، ومصلحتنا فى الحوار لا فى القتال بين السنة والشيعة). أما فيما يخص الموقف من زعامة الحريري فإن كرامي سمع كلاماً واضحاً أيضاً مفاده (نحن نتعامل معك كقوة قائمة بحد ذاتها كما نرى الحريري كقوة قائمة بحد ذاتها، كما نتعامل مع الرئيس فؤاد السنيورة كقوة مستقلة أيضاً، ونحرص على التواصل معك).

ومع أن كرامي شعر بأن مصر مهتمة بالتواصل مع سوريا لكنه انتبه إلى أنها غير مهتمة كثيراً بالتواصل مع إيران، رغم أنه حمل على ما يبدو وجهة نظر مصرية فى ما خص سلوك إيران في لبنان والمنطقة، ومن الممكن أن ينقله إلى طهران التى يزورها حالياً، لكن المطلعين على وجهة النظر المصرية يعتقدون بأن الأمر ليس على هذا النحو، وأن التواصل المصري - الإيراني قائم، ولكن هناك خلافات عميقة بين الطرفين فى ما خص أموراً كثيرة ليس أقلها ما يجرى فى العراق، وهو أمر لا ينسحب بالضرورة على موقف مصر من حزب الله فى بيروت، برغم أن العلاقة بين الجانبين شهدت تحسناً فقط منذ فترة وجيزة، وحسب ما هو وارد فى تقارير عن زيارة أبو الغيط إلى بيروت، فإنه كان صريحاً مع الوزير محمد فنيش، إذ إنه أراد أن يكلمه (بشكل جدي) يعبّر عن رغبة فى التواصل والنقاش حتى مع وجود خلافات، ولذلك حرص أبو الغيط على افتتاح لقائه بوزير حزب الله بإبلاغه عتب القاهرة ورفضها لما جرى من أحداث فى مايو الماضي في بيروت، وكان رد فنيش بتوضيح الموقف من زواياه المختلفة، وتركيزه على أن كل ما جرى ما كان ليحصل لولا سلوك الفريق الحاكم فى لبنان الذى كان يمكن أن يبقى لسنوات طويلة رافضاً مشاركة الآخرين فى إدارة البلد. لكن الوزير المصري كان حريصاً أيضا على إثارة موضوع اللقاء (الضرورى والملحّ) الذى يجب أن يتم فى أسرع وقت بين السيد حسن نصر الله والنائب سعد الحريري، وهنا أيضاً رد فنيش بتوضيح أن الرفض يأتي هذه المرة من جانب الحريري لا العكس، وتأكيده أن حزب الله معني وصاحب مصلحة فى إعادة التواصل مع الجميع وفي المقدمة مع الحريرى وتياره السياسي.

ومع أنه لم يكن متوقعاً أن يتحدث الوزير المصري فى زيارته القصيرة عن الجوانب الاستراتيجية من دور حزب الله، فإن المطلعين على موقف القاهرة، لا ينفون انطباعات بعض زوار القاهرة عن (استخفاف بعض المسؤولين المصريين بما أنجزته المقاومة فى مواجهة إسرائيل فى حرب يوليو ٢٠٠٦).. إلا أن هؤلاء يلفتون الانتباه إلى أن (في مصر من تابع بدقة شديدة تفاصيل هذه الحرب ونتائجها وتداعيتها

فشل السعودية في لبنان انعكس على تحالف المعتدلين وتراجع دورهم بمن فيهم مصر التي لاتزال تبحث لها عن دور شبه مستقل

بخلاف ما قام به كثيرون حتى فى لبنان).

إلا أن ما حققته زيارة الوزير المصري، بدا فى مرحلته الأولى مقتصراً على إطلاق مرحلة جديدة من العلاقة المصرية مع ملف بهذه الحساسية، لكن الكل يتعامل مع المبادرة على أنها إشارة أولى إلى فشل السياسة السعودية التى اتّسمت بها السنوات الثلاث الماضية، والتي أدّت إلى تراجع نفوذ المحور الذى يضمّها ومصر، فى هذا البلد، وإذا كان بمقدور القاهرة الحد من الخسائر، فإن ثمن خطوة كهذه يتطلّب ابتعاداً عن كل الانحياز الذي تمارسه الرياض، والذي وصل فى المرحلة الأخيرة إلى التورط فى لعبة التجاذب حتى فى بعدها المذهبى والأمني، وهو الأمر الذى من شأنه أن يثير حفيظة دمشق التى لم تكن تقبل أن يتمركز خصومها فى قلب بيروت ويطلقوا عمليات التحريض ضدها، وهي لن تقبل أن يلعب أحد بالنار بالقرب من حدودها بقاعاً أو شمالاً.. فهل تصلح مصر ما أفسدته السعودية؟

جريدة العرب اللندنية، ٢٠٠٨/٩/٦

(السادة) و(الأشراف) في الحجاز

ضياء العنقاوي

الشرف: الحسب بالآباء، شرفَ يشرُفُ شرَفاً وشُرفَةً وشرافةً، فهو شريف، والجمع أشرافٌ وشُرفاء(١). والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء أو علو الحسب(٢). قال الزبيدي: الشرف: المجد، يقال: رجلٌ شريف أي ماجد. ولا يكون الشرف والمجد إلا بالآباء(٣). والشريف أرفع من الكريم، لأن الشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء(٤).

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م): الشرف: مصدر الشريف من الناس، شرف يشرفُ، وقوم أشراف(٥). والشريف كان يطلق على العرب الخُلص وعظمائهم، وخاصة من شرف قومه وكرمهم(٦).

من الرواد الذين قاموا بالكتابة في (اشراف العرب):

- الهيثم بن عدي (ت سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) في كتابيه (تاريخ الأشراف الكبير) و (تاريخ الأشراف الصغير).
- المدائني (ت سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) في كتابه: (أشراف عبدالقيس).
- أحمد بن الحارث (ت سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م) في كتابه (الأشراف).
- عمر بن شبة (ت سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) في كتابه (الأشراف).
- أحمد بن يحي البلاذري (ت سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، في كتابه (أنساب الأشراف) واشتمل على تراجم وأنساب ما كان متعارفاً عليه في عهده وقبله من معنى الشرف في اللغة(٧).

ولما جاء الإسلام خص الشرف ببيوتات قريش، فكانوا أشراف العرب. ومن الرواد الذين تناولوا أشراف قريش في مصنفات وكتب:

- الزبير بن بكار (ت سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) في كتابه (جمهرة أنساب قريش وأخبارهم).
- مصعب بن عبدالله بن الزبير (ت سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م) في كتابه (نسب قريش).

ثم تبعهما في ذلك العديد من المتأخرين(٨).

وقد حظيت قريش بمكانة رفيعة بين سائر القبائل العربية لكفاءة نسبهم، ولعظيم أفعالهم، ودورهم في خدمة بيت الله الحرام بمكة المكرمة. قال وائلة بن الأسقع: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)(٩).

بذلك تأكد أن الإنتماء الى بيت النبوة عين الشرف، وعلى ذلك خصص لبني هاشم لقب (الشريف)، فكان يطلق على كل من كان من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، أصبحوا ينسبون الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرب أو البعد منه نسباً(١٠). ومثال القرب والبعد في النسب قصة الخليفة هارون الرشيد العباسي عندما حج، حيث (أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً له، وحوله قريش ورؤساء القبائل، ومعه موسى بن جعفر [الصادق] فلما انتهى الى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم. افتخاراً على من حوله؛ فدنا موسى بن جعفر، فقال: السلام عليك يا أبت. فتغيّر وجه الخليفة هارون، وقال هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً)(١١).

كان لفظ الشريف في الصدر الأول للإسلام، يطلق على كل من كان من أهل البيت، سواء أكان حَسَنياً أم علوياً من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب، أم جعفرياً(١٢)، أم عقيلياً(١٣)، أم عباسياً(١٤)؛ وذلك حسب ما جاء في بعض المصادر(١٥). وتزخر كتب التراجم والتاريخ بما يؤكد ذلك(١٦).

ومن استعمالات كلمة (الشريف) في هذا المعنى، إطلاقه على معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نص جنائزي في شهر ربيع الأول من سنة ٢٩٥هـ/ ديسمبر ٩٠٧م(١٧).

ولما تولى الفاطميون حكم مصر، قصروا لقب (الشريف) على ذرية الحسن والحسين(١٨). فما أن تم ضم الفاطميين لمصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م(١٩) حتى أعلن كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد [ابن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الرضا بن موسى الجون بن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب] استقلاله بإمارة مكة، والدعوة للخليفة الفاطمي المعز، وكتب له المعز بالولاية(٢٠) وتبعه ابنه حسن بن جعفر حيث حضر لمصر لتهنئة الخليفة الحاكم(٢١).

وما لبث أن أعلن طاهر بن مسلم [ابن عبدالله بن يحي بن الحسين بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب] استقلاله بإمارة المدينة المنورة، وخطب للخليفة الفاطمي أيضاً(٢٢) وذلك بعد أن دعا أبوه مسلم للمعز بمصر(٢٣).

يكاد يكون إجماع المحققين على أن تخصيص الشرف في أبناء الحسن والحسين كان في العهد الفاطمي، إلا أنه لم يشتهر إلا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ويغلب أنه كان في أواخره(٢٤).

ولا يستبعد أن يكون قصر الفاطميين الشرف على ذرية الحسن والحسين ضرباً من ضروب الخلاف بين الفاطميين والعباسيين في أمر الخلافة والسيادة، فقد كان ذلك(٢٥) رداً على موقف العباسيين من النسب الفاطمي(٢٦) خاصة أن الفاطميين طالبوا بالخلافة، واعتمدوا في ذلك على انتسابهم الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق انتسابهم الى فاطمة الزهراء، والى ابن عمه علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وليس الى الأعمام؛ حيث أن العباسيين أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم.

على ذلك نجد أن ابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) يقول: (إن الشريف ببغداد لقب لكل عباسي، وبمصر لقب لكل علوي)(٢٧). وكثير من أهل الشام وغيرهم، لا يسمون شريفاً إلا من كان من ذرية الحسن والحسين(٢٨).

وذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) أن الجعافرة المنسوبين لعبدالله بن جعفر، لهم أيضاً شرف، لكنه يتفاوت(٢٩). وقد ميّز الإمام علي بن أبي طالب وخصّ ابنيه الحسن والحسين في الوصية في صدقاته دون سائر أبنائه، حيث ذكر في وصيته: (إن لبني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي، وإنما جعلت الذي جعلت الى بني فاطمة ابتغاء وجه الله، وتكريم حرمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً وتشريفاً ورجاء بهما)(٣٠).

وعلى ذلك ميّز الخلفاء والسلاطين والأمراء ذرية الحسن والحسين، حيث جعلوا لهم أوقافاً خاصة بالأشراف(٣١)، ومنها: (قنا)(٣٢)، و (بلقيس)(٣٣) و(بركة الحبش)(٣٤)؛ وقد نص واقفها في وقفه على أن يصرف نصفها على الأشراف، ونصفها على الطالبيين(٣٥).

ولذا جُعلت لهم نقابة للأشراف بمكة المكرمة(٣٦) والمدينة المنورة(٣٧)، وجعل بعضهم اللون الأخضر خاصاً بهم في أزيائهم لمزيد شرفهم(٣٨). ولكفاءة نسبهم كانوا لا يزوجون بناتهم إلا من الأكفاء لشرفهن على سائر النساء(٣٩).

الملك الأشرف ملك اليمن (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) حدد معنى الشرف حيث قال: (لا يطلق الشرف إلا على من كان من ذرية أولاد علي كرم الله وجهه، من فاطمة ابنة الرسول، وهم الحسن والحسين، رضي الله عنهما، ومن كان من غيرهما من أولاد العباس بن عبدالمطلب، قيل لهم عباسيون)(٤٠).

وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) أنه في عرف التعريف أنه مختص بالأشراف أبناء فاطمة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤١) وهذا ما أكده أيضاً السيوطي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)(٤٢). على ذلك استمر لقب (الشريف) تخصيصاً على من له شرف النسبة الى الرسول صلى لله عليه وسلم، من ابنته فاطمة من ذرية ابنيها الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد عمّ هذا الإصطلاح منذ العهود المبكرة في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً؛ فمتى أطلق لفظ (الشريف) في اللغة العربية عرفاً، فلا يصرف إلا لمن كان حسنياً أو حسينياً(٤٣).

وكثيراً ما يقرن لقب (الشريف) بلقب (السيد) (٤٤)، فيقال: (السيد الشريف) وتطلق هذه الألقاب غالباً على أبناء الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما كان يسبق لقب (الشريف) أحياناً لقب (الحسيب)(٤٥)، و(النسيب)(٤٦)، وكلاهما من ألقاب الأشراف(٤٧).

إلاّ أنه في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، شاع في بلاد الحرمين، وخاصة عند بعض المؤرخين والكتاب، أن لقب (الشريف) لا يطلق إلا على من كان حَسَنياً، ولا يطلق لقب (السيد) إلا على من كان حسينياً(٤٨).

وقصر بعض المؤرخين لقب (الشريف) على كل من حكم مكة المكرمة؛ فظن بعضهم أن (الشرافة) لقب مقصور عليهم. وفي ذلك يقول النعمي (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م): (ولإسم الشرف مزية في مكة شرفها الله، ولا يكون هذا إلا لمن ولي تخت الإمارة، ولإسم السادة شرف أعلى في جهات اليمن، وكلا الإصطلاحين لا تنافي بينهما فالجميع أشراف وسادة)(٤٩).

وذكر القاضي المكي اللبني (ت ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م): (أن كثيراً من الناس يظن أن الأشراف خاص بأولاد الحسن، كما أن السادة بأولاد الحسين، وليست هذه قاعدة، فكثيراً ما يقال لأشراف مكة: السيد فلان، ويقال لأشراف المدينة أشراف، وهم حسينيون، وكانت لهم إمارتها)(٥٠). وبمثله قال الدهلوي (ت ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)(٥١)، وعبدالله غازي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م)(٥٢). وذكر لنا النبهاني (أنه في الحجاز اصطلحوا... على اطلاق الشريف على من كان حسنياً، والسيد على من كان حسينياً للتفريق بينهما)(٥٣).

وذكر أبو أيوب صبري (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) (أن هناك شكاً في أن نتاج السلالة من أولاد وأحفاد السادات من الحسين رضي الله عنه وأولاد وأحفاد الحسن رضي الله عنه، وعلى الرغم من قولنا: اشراف بني الحسين، وسادات بني الحسن، حالياً، فإن هذا التعريف غير صحيح)(٥٤). وقد استقرّ رأي جلّ الكتاب المعاصرين من أهل مكة وغيرهم على أنه لا فرق بين (السيد) و(الشريف)؛ فكلاهما من ألقاب ذرية الحسن والحسين، رضي الله عنهما(٥٥).

خلاصة القول: إن العديد من الباحثين والمؤرخين بالحجاز، قد ذهبوا في تفسير إطلاق لقب (الشريف) على ذرية الحسن السبط، ولقب (السيد) على ذرية الحسين السبط، وبخاصة بدءاً من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، معللين أسباب تلك المغالطة التاريخية بأسباب مختلفة، والتي صارت عرفاً سارياً في الأزمنة المتأخرة ببلاد الحرمين، وخاصة بمنطقة مكة المكرمة.

وقد جانبوا في هذا الصواب، لتعارض وتناقض أقوالهم على ما استقرّ عليه كبار المحدثين وفحول المفسرين، وأعلام المؤرخين المتقدمين، حيث أجمعوا على أنه لا فرق بين اللقبين، لتساوي السيادة والشرف لذرية الحسن والحسين معاً، لانتسابهم للنبي صلى الله عليه وسلم عن طريق زواج ابنته فاطمة بابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو المشهور الثابت عرفاً مطلقاً حتى العهد الحاضر في سائر العالم الإسلامي.



أفراد من أسر الأشراف في مكة المكرمة (تصوير: سنوك عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)

الهوامش

١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ٣، جـ ٧، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٩٠.

٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، جـ ٣ (بيروت: دار التراث العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م) ص ٢٢٩.

٣) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق ابراهيم الترزي وآخرين (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٠هـ)، جـ ٨، ص٢٢٤؛ جـ ٢٣، ص ٤٩٢-٤٩٣.

(٤) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٦ (القاهرة: المطبعة

الأميرية، ١٣٣٢هـ) ص ٢٤. والخالدي، محمد بن لطف الله، المقصد الرفيع المنشا الحاوي صناعة الإنشا، مخطوط، مكتبة جامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٤٥، تاريخ ١٦٢.

٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مادة (شرف) ومادة (حسب)، جـ ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ص ٣٢٥.

٦) وشرف ككرم، فهو شريف اليوم، وشارف عن قريب اي سيصير شريفاً، كذا في الفيروزآبادي، جـ ٣، ص ٢٢٩. وفي شرحه والذي على اللسان أن شرفاً محركة بمعنى شريف ومنه قولهم: هو شرف قومه وكرمهم، أي شريفهم وكريمهم. أو فتأمل إفادة الشارح، الزبيدي، جـ ٢٣، ص ٤٩٢-٤٩٣.

٧) انظر البلاذري، أحمد بن يحي، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله (القاهرة: دار المعارف، د. ت) ص ٢١.

٨) انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: دار الرسالة، ١٤٠٦هـ). وايضاً: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥).

٩) النووي، يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا. كتاب الفضائل، باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. ط ٧، جـ ١٥ (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) رقم الحديث ٥٨٩٧.

١٠) راجع في ذلك: ابن سلام، أبو عبيدالله القاسم، كتاب الأنساب. تحقيق ودراسة: سهيل زكار ومريم الدرع (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص ١٩٦ وما بعدها. وانظر: ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق: محمد نايف الديلمي (العراق، المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ص ٣٦ وما بعدها. وانظر ايضاً القلقشندي، أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب (بيروت: المكتبة العلمية. د. ت) ص ٣٤.

١١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، جـ ١٣ (بيروت: دار الكتب العلمية) ص ٣١. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، جـ ٥ (بيروت: دار الفكر، د. ت) ص ٣٠٩.

١٢) هم أولا جعفر بن أبي طالب.

١٣) هم أولاد عقيل بن أبي طالب.

١٤) هم أولاد العباس بن عبدالمطلب.

١٥) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الحاوي للفتاوي، ضبطه وصححه: عبداللطيف حسن عبدالرحمن، جـ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ص ٣٢.

١٦) راجع في ذلك ما ورد من تراجم للأشراف في المصادر التالية: المنذري، زكي عبدالعظيم بن عبدالقوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. راجعه: سهيل زكار، ط ٢ (بيروت، دار الفكر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). وانظر: السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة: د.ن. ١٣٥٤هـ/ ١٩٥٣م). مواضع متفرقة من الكتب المذكورة.

١٧) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م) ص ٣٥٨.

١٨) السيوطي، جـ ١، ص ٣١.

١٩) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبدالسلام التدمري، جـ ٧ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ) ص ٣٠.

٢٠) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٦٩.

٢١) المسبحي، محمد عبيدالله، أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥هـ)، تحقيق: وليم ج. ميلورد (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م) ص ٣٤٠، ٣٣. وانظر: النجم بن فهد، عمر بن محمد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت، جـ ٢ (مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، د.ت) ص ٤١٠. وايضاً: العز بن فهد، عبدالعزيز بن عمر، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم شلتوت (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ٤٨١. وانظر: العصامي، عبدالملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، جـ ٤ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ) ص ٢١٠.

٢٢) ابن خلدون، جـ ٤، ص ١٤٠

٢٣) المقريزي، أحمد بن علي، درر العقود الفريدة، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، جـ ١ (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٥) ص ٥٦٢.

٢٤) البلاذري، ص ٢٠.

٢٥) راجع في ذلك: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حققه: إحسان عباس، جـ ٣ (بيروت: دار صادر، د. ت) ص١١٧. وأيضاً: ابن الطقطقي، محمد بن تاج الدين علي طباطبا، الأصيلي في أنساب الطالبيين، مخطوط، وبذيله قطعة من كتاب الأنساب، للشريف محمد بن أسعد الجواني، نقيب الأشراف بمصر، نسخة مصورة من مكتبة خاصة، ص ٢٠٥.

٢٦) اختلف في صحة النسب الفاطمي لحكام مصر، ويذهب المؤرخون والنسابون في ذلك الى ثلاثة ضروب:

أ) فمن مال الى تأييد النسب الفاطمي: ابن خلدون، جـ ١، ص ٣٥٩، و جـ ٢، ص ١٩٣. والمسبحي ص ١٢٤؛ وابن الأثير جـ ٣ ص ٤٤٩، وجـ ٦ ص ١٢٤. كما مال الى ذلك قاضي المدينة عبدالوهاب بن نميلة، الشجرة الشريفية المباركة العلوية الفاطمية الحسينية، مخطوط، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تاريخ رقم ١٩٨٤، ص ٢٧؛ وأيضاً: المقريزي، أحمد بن علي، المقفي الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، جـ ١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٥م) ص ٣٨-٣٩، ويلاحظ أن المقريزي عد نفسه من سلالة الفاطميين.

ب) وممن مال الى الطعن في صحة نسبهم: ابن خلكان، جـ ٣، ص ١١٧؛ وابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط ٤، (بيروت: مكتبة المعارف ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) جـ ٩ ص ٨٤-٩٣، وجـ ١١، ص ١٦١. وايضاً ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: جمال محرز وفهيم شلتوت، جـ ٤ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب والنشر ١٩٧١م) ص ٧٥-٧٧؛ والذهبي، جـ ١٥، ص ١٤١.

ج) وممن توقف في نسبهم: البخاري، سهل بن عبدالله، سر السلسلة العلوية، تقديم وتعليق محمد صادق بحر العلوم (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) ص ٣٦. والسمرقندي، محمد بن الحسن، تحفة الطالب بمعرفة من ينسب الى عبدالله وأبو طالب، مخطوطة، مكتبة مكة المكرمة، رقم ١٠، تاريخ، ٣٨.

٢٧) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبدالعزيز بن محمد صالح السديري، جـ ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٣٩٩.

٢٨) البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، جـ ٤ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٢٨٨.

٢٩) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف، اعتنى به: حسين محمد علي شكري (د. م: دار المدينة للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ/

٢٠٠١م) ص ٣١.

٣٠) ابن شبة، عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق محمد شلتوت، جـ ١ (د. م. حبيب محمود أحمد، د.ت) ص ٢٢٧.

٣١) النبهاني، يوسف بن اسماعيل، الشرف المؤيد لآل محمد، ط٢ (مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ٨٣.

٣٢) قنا بصعيد مصر، أوقفت على الأشراف بني الحسن بمكة المكرمة والأشراف بني حسين بالمدينة المنورة، دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر القوصية جيشي، مسلسل ٤٦١٧، مخزن تركي (١) حفظ (٣)، وزارة الأوقاف المصرية: وقفيات أهلية، سجلات النظارة، يومية ٩٠، جـ ١٤.

٣٣) ناحية بلقيس بمصر أوقفها الملك الصالح الطلائع بن رزيك (ت ٥٥٦هـ) على السادة الأشراف؛ ابن دقماق، ابراهيم بن محمد، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، جـ ١ (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، د. ت) ص ٤٥. وكان ثلثها يصرف على أشراف المدينة؛ ابن شدقم، ضامن، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، مخطوط بمديرية الآثار العامة وحيازة المخطوطات، بغداد، المكتبة الحيدرية، د. ت، جـ ١، ص ١٥، وجـ ٢، ص ٢١٣؛ الشهر العقاري والتوثيق بالقاهرة، محكمة الصالحية النجمية، سجل رقم ٢٨٤ (٩٩٥هـ) ٢٨٤.

٣٤) ابن دقماق، جـ ١، ص ٥٥؛ جـ ٢، ص ١٥٢. الخالدي، ص ١٣٢، وفيه (ربما يصرفونها على الأشراف المقيمين بمكة والمدينة والواردين منهما حين النفقة).

٣٥) السيوطي، جـ٢، ص ٣٣.

٣٦) عن نقباء الأشراف بمكة راجع: ابن الرازي، فخر الدين بن محمد، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تحقيق: مهدي رجائي (قم: د. ن، ١٤٠٩هـ) ص ١٦١. والمروزي، إسماعيل بن الحسين، الفخري في أنساب الطالبيين، تحقيق: مهدي رجائي (النجف، د. ن، ١٤٠٩هـ) ص ٥٣. ابن أبي جعفر، محمد، تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب، تحقيق الشيخ محمد المحمودي (د. م: ١٤١٣هـ) ص ٢٤٠. وايضاً انظر: ابن عنبة، احمد بن الحسن، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة احياء التراث (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت) ص ٣٨٩. وابن الساعي، علي بن أنجب، تاريخ الخلفاء العباسيين، تحقيق: عبدالرحيم الجمل (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٦٥٧. وانظر ايضاً دار الوثائق القومية بالقاهرة: دفتر نمرة ١٠، معية تركي ٢٩ ربيع الأول ١٢٣٧هـ.

٣٧) عن نقباء الأشراف بالمدينة، انظر: ابن شدقم، علي بن الحسن، نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة (النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠/ ١٩٦٠م) ص ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣. وانظر: ابن شدقم، ضامن، تحفة لب اللباب في ذكر نسب السادة الأنجاب، تحقيق مهدي رجائي (د.م: مكتبة المرعشي، د.ت) ص ١٦٢–١٨٢. انظر ايضاً: ابن شدقم، تحفة الأزهار، جـ ٢، ص ١٨، ٢٥٤، ٢٥٠؛ واخيراً انظر: الشهر العقاري والتوثيق بالقاهرة، محكمة الصالحية النجمية، سجل ٤٧٠، لسنة ٩٩٥هـ، ٢٨٤.

٣٨) القلقشندي، أحمد بن علي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار فراج، جـ٢ (بيروت: عالم الكتب. د.ت) ص ١٧١. والسخاوي، استجلاب ارتقاء الغرف، جـ ١، ص ٨. والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (د.م، د.ن، د.ت) ص ٧٥. والنبهاني، ص ٨٦. وأرشيف رئاسة الوزراء بتركيا، محفظة رقم ١٠٨؛ وأيضاً رقم عمومي ٢٧٤١٦ نقلاً عن أمراء مكة في العهد العثماني لإسماعيل حقي ص ١٦، وفيها: (ان السلطان محمود الثاني ارسل خطاً همايونياً فيه: أنه من اللائق بالنسبة للشرافة أن تكون الخلعة لأمير مكة من الجوخ الأخضر). ولم ينكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب عليهم لبس الأخضر، حيث قال: (أما لبس الأخضر فإنها أحدثت قديماً لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد، أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم) راجع: الرسالة السابعة عشرة، ابن غنام، حسين، تاريخ نجد (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت) ص ٣٣١.

٣٩) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١٢٢.

٤٠) ابن رسول، عمر بن يوسف، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك، و، سترستين، ط ٢، (بيروت: منشورات المدينة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥) ص ١٠٢، ١٠٣.

٤١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٦، ص ١٧

٤٢) السيوطي، جـ ٢، ص ٣٢–٣٣.

٤٣) انظر على سبيل المثال، علاوة على ما تقدم من شواهد تاريخية: المسبحي، ص ٥٦.

٤٤) ذكر الزبيدي: أنه اشتهر عند العامة بفتح السين، والسيادة: الشرف، ساد، يسود، سيادة، والإسم السؤدد، وهو المجد والشرف، الزبيدي، جـ ٨، ص ٢٢٤.

٤٥) الحسيب: الحسب: وهو الشرف الثابت في الآباء. الزبيدي، جـ ٢، ص ٢٧٠.

٤٦) النسيب: قال القلقشندي: المراد العريق في النسب، ولقبوا بذلك لأنهم أعرق الناس نسباً، لانتسابهم الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٦، ص٣٣

٤٧) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٦، ص ١٣، ٣٣

٤٨) وممن ذهب الى ذلك، الشاطري، محمد بن أحمد، المعجم اللطيف (بيروت: مطبعة دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، د.ت) ص ٤٩. وكذلك جارشلي حقي، اسماعيل حقي اوزون، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل مراد (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥) ص ١٤.

٤٩) النعمي، محمد حيدر، الجواهر اللطاف المتوج بهامات الأشراف من سكان صبياء والمخلاف، مخطوط، جدة، جامعة الملك عبدالعزيز، ص ٥٩.

٥٠) اللبني، جعفر بن أبي بكر، للحديث شجون، شرح الرسالة الجدية لابن زيدون، مخطوط رقم ٨١٠، مكتبة مكة المكرمة، ص ٦٤.

٥١) الدهلوي، عبدالستار، تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب المسمى مائدة الفضل والكرم في تراجم أهل الحرم، مخطوط، مكتبة الحرم المكي، تراجم، رقم ٨٣، ص ١١٥

٥٢) غازي، عبدالله، إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام، مخطوط، مكة المكرمة، مكتبة الحرم المكي الشريف، رقم خاص ١٢٣٩، جـ ٧، ص ٦١٦.

٥٣) النبهاني، ص ٨٢

٥٤) صبري، أيوب، مرآة جزيرة العرب، ترجمة أحمد فؤاد متولي الصفصافي أحمد المرسي، جـ ١، (الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ) ص ٦٤

٥٥) راجع في ذلك: ابن منصور، محمد، قبائل الطائف وأشراف الحجاز (الطائف: مطبعة الحارثي، ١٤٠١هـ) ص ٣٩. يماني، محمد عبده، علموا أولادكم محبة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ط٢ (جدة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٣٠. جارالله بن فهد، محمد بن عبدالعزيز، تحفة اللطائف في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف، تعليق: محمد سعيد كمال ومحمد منصور الشقحاء (الطائف: نادي الطائف الأدبي، د.ت) ص ٤٦. وانظر ايضاً: الأمير، إبراهيم بن منصور، تحقيق منية الطالب في معرفة الأشراف الهواشم الأمراء بني الحسن بن علي بن أبي طالب (بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ص ٨٧. واخيراً انظر: الغامدي، ثامر عبد المحسن، موسوعة العشائر العراقية، جـ ٨ (د.م، د.ن، د.ت) ص ٢١.

تترقب الصفعة المقبلة

السعودية و(لعنة بوش)

إيلي شلهوب

ضحايا جورج بوش كثر. غباؤه تسبب بالكثير من المآسي، حتى للأميركيين أنفسهم. سياساته الشرق أوسطية الطائشة أضرّت بمصالح بلاده والعديد من حلفائه، في مقدمتهم السعودية، التي يبدو أنها تدفع غالياً ثمن ولائها لأسياد البيت الأبيض.

علاقة هذه المملكة الوهابية بالعم سام قديمة، تعود إلى منتصف القرن الماضي. عندما أرسى الجانبان تحالفاً يقوم على معادلة بسيطة: النفط مقابل الحماية. تبادل منافع أثبت جدواه بالنسبة للرياض. حماها في الستينيات من طموحات مصر جمال عبد الناصر، والثمانينيات من وهج إيران الخميني، والتسعينيات من غطرسة عراق صدام حسين.

مسيرة طويلة استغلتها السعودية لبناء زعامة في العالمين العربي والإسلامي، مستخدمة المال سلاحاً والقضية الفلسطينية شعاراً، ساهمت خلالها في دعم اقتصاد أميركا وصراعها مع الاتحاد السوفياتي (أفغانستان نموذجاً).

ومع انهيار المعسكر الاشتراكي، ودخول المنطقة عصر الوجود العسكري الأميركي المباشر، استجابت السعودية للرغبة الأميركية بوضع حد للنزاعات في المنطقة، التي أرادت واشنطن احتكارها كمنطقة نفوذ تعزيزاً لأحاديتها القطبية على العالم. ساهمت المملكة حثيثاً في وضع حدّ للحرب الأهلية اللبنانية، وأعلنت دعمها لعملية السلام مع إسرائيل تحت عنوان (مؤتمر مدريد).

لكن مع ولوج منتصف التسعينيات، بدأت بوادر توتر تظهر في علاقات الرياض التي أرهقتها حرب الكويت مالياً، بواشنطن التي اتهمتها بأنها لا تبذل جهوداً كافية في التحقيقات بالضربات التي طالت المصالح الأميركية في أكثر من مكان في العالم، وبينها السعودية.

توتر تفاقم مع انهيار عملية السلام وتولي جورج بوش الابن مقاليد السلطة، حاملاً شعار الدعم المطلق للسياسات العدوانية لأرييل شارون. دعم أحرج المملكة وأفقدها الكثير من مصداقيتها، في وقت كانت فيه انتفاضة الأقصى في أوجها. رسالة ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله، التي نقلها سفيره لدى واشنطن بندر بن سلطان إلى بوش في آب ٢٠٠١، كانت أبلغ تعبير عن الامتعاض السعودي.

غير أن الأوراق سرعان ما اختلطت مع زلزال ١١ أيلول؛ تنامت المشاعر المعادية للسعودية في واشنطن، وبدأت الضغوط تنهال عليها من كل حدب وصوب. بدت المملكة محاصرة، تفتقد إلى بوصلة تهديها في سياستها الخارجية، فكانت المبادرة الشهيرة للأمير عبد الله، التي تبنّتها قمة بيروت في آذار ٢٠٠٢. تلتها الزيارة الأولى لولي العهد السعودي إلى مزرعة كراوفورد في الشهر التالي، التي أدت إلى تحسن في العلاقات الثنائية، ترافق مع التحضيرات لغزو العراق، الذي كان بندر أبرز الضاغطين باتجاهه.

انقلب السحر على الساحر: أزال بوش الحاجز الصدامي الذي كان يقف في وجه إيران، بعدما كان أسقط الحاجز الطالباني في أفغانستان، وباتت منطقة نفوذ الجمهورية الإسلامية تلامس حدود السعودية. تطوّر فرض على الرياض إعادة حساباتها وتعديل أولوياتها (تحوّلت إيران إلى خطر داهم)، وعاد التوتر إلى علاقاتها مع واشنطن بسبب الدعم الأميركي اللامحدود لشيعة العراق على حساب سنّته.

توتر سرعان ما تلاشى عندما ضرب الزلزال الثاني: اغتيال الرئيس رفيق الحريري بعد أشهر قليلة على تواطؤ جاك شيراك مع جورج بوش في استصدار القرار ١٥٥٩، عندها فتحت السعودية نيرانها على سوريا، التي أجبرت على الخروج من لبنان غداة الزيارة الثانية لعبد الله إلى كراوفورد.

بات للسعودية قضية مجدداً، واستعادت (أمجادها) وزعامتها، لكن هذه المرة لمحور (المعتدلين العرب)، الذي ضمّ إليها كلاً من مصر والأردن، في مقابل (محور المتشددين)، بزعامة إيران وعضوية سوريا وحزب الله وحماس. صراع دارت رحاه في كل من العراق، حيث الاحتراب المذهبي بدأ يتفاقم، ولبنان حيث خيضت المعركة بالتظاهرات والاغتيالات.

حتى جاء عدوان تموز، الذي فرضته إدارة بوش، وحمّلت الرياض (ومعها القاهرة) مسؤوليته إلى (مغامرة) حزب الله. عندها أيضاً انقلب السحر على الساحر، وكرّت من بعده سلسلة الهزائم التي منيت بها السعودية في أكثر من محطة، كان آخرها (اتفاق الدوحة)، الذي تنازع الرياض حالياً للحد من تداعياته عليها وعلى حلفائها اللبنانيين.

(مغامرة) أدخلت المملكة في حال من التيه (عكست انقساماً في العائلة المالكة) لأكثر من عامين، لعبت خلالهما على الورقة الفلسطينية (اتفاق مكة الذي أسقطه الحسم الحمساوي) وعلى الإيحاء بابتعاد عن تبعيتها الأميركية (الحديث عن «احتلال العراق غير الشرعي» في قمة الرياض وعن إلغاء دعوة إلى الغداء في البيت الأبيض في نيسان ٢٠٠٧) وعلى التقارب مع إيران (الملك عبد الله ومحمود أحمدي نجاد يداً بيد في قمة الدوحة وزيارات الأخير إلى السعودية)، ناهيك



وسام مقابل ضرب تحت الحزام!

عن الورقة الإسرائيلية مع الأنباء التي تواترت عن لقاءات لقياديين سعوديين مع مسؤولين في الدولة العبرية.

ومع بدء العد العكسي لولاية بوش، تلقّت السعودية صفعتان كبريان: الأولى من حليفها الأميركي عبر لقاء وليام بيرنز وسعيد جليلي في جنيف بعدما تقلصت إلى حد الصفر فرص توجيه ضربة أميركية وشيكة لإيران، والثانية من حليفها الفرنسي الذي فك العزلة عن دمشق، والذي يبدو أن واشنطن ستتبع خطواته.

ضحايا جورج بوش كثر. لكن السعودية تبدو أكثرهم مدعاةً للشفقة، بعدما حوّلها من أحد الزعماء الرئيسيين للعالمين العربي والإسلامي، إلى دولة منكفئة على نفسها، تلعق جراحها، وتترقب الصفعة المقبلة.

الأخبار اللبنانية، ٢٠٠٨/٩/١٠

وجوه حجازية

(١)
حمزة يوسف طالب الصيرفي
(١٣٢٥ـ١٣٩٣هـ)

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وحرص والده على تعليمه هو وإخوته علوم الشريعة واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، كما حرص والدهم على أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد الحرام. تلقى تعليمه الإبتدائي في الكتاتيب العثمانية بمكة المكرمة، ثم لازم حضور حلقات علماء المسجد الحرام ومنهم الشيخ أمين حجازي، والشيخ أمين فودة، والشيخ عبدالرزاق حمزة، فدرّس علوم الشريعة واللغة العربية، وتخصص في علم الفرائض والمواريث لدى الشيخ أمين فودة، والشيخ عبدالرزاق حمزة، وتضلع في هذا العلم الجليل في مكة المكرمة. ورث عن أبيه مهنة الصيرفة، واكتسب خبرة واسعة فيها وفي التجارة وأصبح له صيت في ذلك. ومع هذه المهنة فإنه لم ينقطع عن طلب العلم وحضور حلقات علماء المسجد الحرام والقراءة والإطلاع، وتطبيق ما تعلمه في حياته العملية، وكان محباً للعلم ومجالساً للعلماء، فكان من جلسائه واصدقائه الشيخ عبدالمهيمن أبي السمح إمام المسجد الحرام، والشيخ محمد نور الجماوي أستاذ العلوم الدينية في دار الحديث المكية، والشيخ عبدالله الخليفي، إمام وخطيب المسجدر الحرام أيضاً، وكثير من علماء المسجد الحرام والأعيان. كان مرجعاً في علم الفرائض وفي القضايا الفقهية. توفي رحمه الله بمكة المكرمة(٢).

(٢)
يحي بن محمد بن جعفر بن سعد الله مؤذن
(١٢٠٠ـ١٢٦٠هـ)

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وقرأ على جماعة من شيوخ مكة، كالشيخ عبدالحفيظ عجيمي والشيخ عمر عبدالرسول والشيخ محمد صالح ريس وغيرهم. برع في النحو والمنطق والمعاني والبيان والفلك والفقه والأدب ونظم الشعر، وأجاز له مشايخه بالتدريس فدرّس بالمسجد الحرام وأفاد، وباشر الآذان في حياة والده لمدة سنتين في شبابه، وتولى الخطابة، ثم ترك الأذان. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: حاشية على شرح المنسك الصغير للملا علي القاري؛ شرح على قصيدة ابن الوردي؛ شرح على جواهر لباب المناسك؛ كتاب مشكاة مصباح الدليل في مخلوقات الملك الجليل؛ درة صدفة التحابير في قسمة العقار والدراهم والدنانير؛ شرح متن نور الإبصار للشرنبلالي؛ حاشية على متن الأبصار؛ رسائل عديدة؛ ديوان شعر؛ شرح على الأجرومية في النحو؛ الشهب المحرقات فيمن ينكر الكرامات؛ مجموع خطب منابر وأنكحة؛ مناقب السيدة آمنة والدة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مناقب السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها؛ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١).

(٣)
عبدالمطلب بن غالب بن مساعد الحسني
(١٢٠٩ـ١٣٠٣هـ)

من أمراء مكة المكرمة.

ولد بها، وولي إمارتها سنة ١٢٤٣هـ، ولكنه عزل عنها بعد خمسة أشهر، فتوجّه الى المشرق ثم الى الأستانة (اسطمبول) فأقام فيها الى سنة ١٢٦٧هـ، وأعيد الى إمارة مكة المكرمة فاستمر بها الى سنة ١٢٧٢هـ، فوقعت فتنة كان سببها منع بيع الرقيق، فما كان من حكومة الخلافة إلا أن عزلته، فقصد ـ مرة أخرى ـ الآستانة، ومكث فيها الى سنة ١٢٩٧هـ، حيث أعيد مرة أخرى الى الإمارة واستمر فيها الى سنة ١٢٩٩هـ، حيث فصل مرة أخرى بعد أن وليها ثلاث مرات مجموع مدتها ثمان سنوات(٣).

(١) زهير محمد جميل كتبي، رجال من مكة المكرمة، جـ ٥، ص ٢٧١.

(٢) عبدالله مرداد أبو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٥١٠. وعبدالله بن محمد غازي، نظم الدرر، ص ١٥٣. محمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري الى القرن الثالث عشر الهجري، ص ٤١٤. أحمد زيني دحلان، رسالة في آثار مكة، ملحقة بسالنامة بالعربي، ص ١٥٠، ١٩٩.

(٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٤، ص ٢٩٨. وأحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام، ص ٣٢٩، وإبراهيم باشا رفعت، مرآة الحرمين، جـ١، ص ٣٦٦. وانظر ايضاً الأنساب والأسر الحاكمة، ص ٣٤.

الشيخ اللحيدان وفتوى قتل جديدة

قلنا مراراً أنه لا يوجد معتدلون بين الوهابيين.

الوهابي المتشدد يغرف من نفس معين الأفكار والمعتقدات التي يؤمن بها المعتدل أو هكذا يسمّى.

كل الوهابيين تكفيريون. كلهم. نعم كلهم تكفيريون، ومن هو غير تكفيري، فهو بالضرورة غير مشمول بالوهابية، ولا ينتمي إليها عقدياً، وإن بقي انتماؤه اليها انتماء هوية، ولا يقبل أتباعها أنه ينتمي إليهم.

الفكر الوهابي الأصلي أو الأصيل! هو نفسه الذي يتبنّاه ابن لادن والعودة والمفتي آل الشيخ والشيخ اللحيدان وعبدالله التركي وغيرهم.

هؤلاء لا يختلفون في التكفير ولا في إصدار قرارات القتل ضد المخالف.

نعم، وقد قلنا ذلك مراراً.

الفارق الوحيد بين المعتدل الوهابي بنظرهم، وبين المتشدد منهم، كما هو الحال بين ابن لادن وابن جبرين او الشيخ المنيع مثلاً، أو بين ابن لادن وبين المفتي السعودي واللحيدان رئيس القضاء.. الفارق الوحيد هو أن ابن لادن كفّر آل سعود! وأجاز قتالهم. ولو أنه لم يقم بذلك، لانعدم الفرق تماماً.

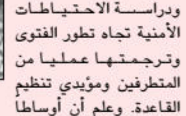
وتكفير القاعدة عامة لآل سعود، صحيح بناء على المعتقد الوهابي، وبهذا يكون ابن لادن وجماعته أكثر التصاقاً بالمعتقد الوهابي من المفتي السعودي نفسه، والذي لا يستطيع محاججة ابن لادن ومن يرى رأيه في هذه القضية وفق أصول وقواعد المذهب الوهابي وكتابات رؤسائه.

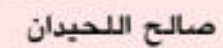
بمعنى آخر إن الإختلاف كل الإختلاف هو حول تكفير الدولة السعودية، والباقي يتفق عليه الوهابيون جميعاً من قمتهم الى أصغر شيخ فيهم.

لن نأتي بفتاوى التكفير والقتل الكثيرة لشيوخ الدولة السعودية، فهي مما يفاخر به وموجوده على مواقع اولئك المشايخ، ومن أراد الإستزادة فليذهب اليها. إنما أردنا أن نأتي بمثال هذه المرة من موقع إيلاف السعودي المقرب من الحكومة، الذي نشر خبراً عن أكبر (شخصية قضائية) وهابية في السعودية، هو الشيخ صالح اللحيدان، يحتمل أن يقال بسببه، أو يراد استخدام ما صرح به من أجل إقالته. وإليكم نص الخبر المنشور في ايلاف في ٢٠٠٨/٩/١١ تحت عنوان: (اللحيدان يستقبل الذكرى السابعة لأحداث سبتمبر بفتوى قتل جديدة).

أفتى رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية الشيخ صالح اللحيدان بجواز قتل ملاّك القنوات الفضائية، وذلك خلال مقابلة أجرتها معه إذاعة القرآن الكريم في برنامج نور على الدرب الذي تبثه إذاعة الرياض الرسمية التي حرصت على إذاعتها ثلاث مرات منذ صباح اليوم. وبموجب هذه الفتوى فان كل حكام الخليج وبعض أمرائه يقعون تحت طائلة هذا (الضوء الأخضر لتصفيتهم) كونهم يستحوذون على النسبة الكبرى من بين مالكي القنوات الفضائية.

وتأتي هذه الفتوى التي من المتوقع أن تثير الجدل داخل الأوساط السعودية في تزامن مع الذكرى السابعة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. والشيخ اللحيدان، الذي رفض إدانة الإرهاب بشكل صريح، حريص على اتخاذ مواقف متطرفة نتيجة عزم الدولة السعودية على إصلاح القضاء السعودي الذي يعيش أسوأ أوضاعه التنظيمية رغم محاولات وزارة العدل المدعومة من قبل الملك عبد الله بن عبد العزيز بغية تطوير القضاء وتقنين الشريعة. إلا أن مجلس القضاء الأعلى الذي يرأسه اللحيدان وقف أمام كل هذه الخطوات بالمرصاد. ولم يتوقف عند هذا الأمر وحسب بل أنه عارض الخطة الملكية الرامية إلى تطوير المسعى لاستيعاب الأعداد الهائلة من الحجاج والمعتمرين التي تأتي إلى المملكة كل عام.





صالح اللحيدان

وعمت الساعات التي تلت فتوى الشيخ السعودي المتطرف اتصالات خليجية على أرفع المستويات للتعرف ودراسة الاحتياطات الأمنية تجاه تطور الفتوى وترجمتها عمليا من المتطرفين ومؤيدي تنظيم القاعدة. وعلم أن أوساطاً دولية تلقت هذه الفتوى بالدهشة المشوبة بالقلق نتيجة انها تتناول العائلات الحاكمة في الخليج التي تتولى رعاية المحطات الفضائية وتمويلها وتعرضها لخطورة الاغتيالات، خصوصاً وأنها الاولى من نوعها التي ينطق بها اللحيدان جريا على عادة بن لادن والظواهري اللذين اهدرا دماء اغلبية الزعامات العربية. وسبق للشيخ أن أثار زوبعة سياسية كادت أن تتصاعد فصولاً بعد أن حصلت أجهزة الأمن الأميركية على تسجيل صوتي منسوب إليه يحث فيه الشباب السعوديين على الذهاب إلى العراق للإنضمام إلى ما يسمى بقوات مقاومة الإحتلال.

كما أنه أبدى إعتراضه على مؤتمر الحوار الوطني الذي يعقد سنويا في المملكة السعودية بقرار من الملك عبد الله قائلاً إن ما دعا إليه في مؤتمره الأخير من الحوار مع الآخر فساد معتبرا أن التسمية الصحيحة للآخر هي (الفاسق). والشيخ الذي هو على عتبة الثمانين من العمر لا يزال محترفاً في إثارة المعارك أسبوعياً إثر آخر في المملكة التي تشهد حراكاً ثقافيا لم يحسم بعد بين ما يسمون بالسلفيين والليبراليين. إلا أن هذه هي المعركة الأخطر أو قد تكون الأخيرة.

وصعد اللحيدان على سلم القضاء سريعاً بدرجة غير متوقعة؛ فبعد أربع سنوات من تخرجه من كلية الشريعة في الرياض أوائل الستينات من القرن الفائت تولى المحكمة الكبرى في العاصمة التي يعتبر كرسيه واحداً من أهم الكراسي في المؤسسة القضائية السعودية بل وأكثرها نفوذاً.

وقد حصل على رسالة الماجستير من المعهد العالي للقضاء واستمر رئيسا للمحكمة الكبرى حتى عين قاضي تمييز وعضوا بالهيئة القضائية العليا. ويرأس مجلس القضاء الأعلى منذ أكثر من ١٦ عاماً بعد أن كان نائباً لرئيسه مدة عشر سنوات. وعلاوة على هذا وذاك فقد كان صحافياً سابقاً في مجلة (راية الإسلام) الأمر الذي وفر له خبرة في قيادة معاركه الصحافية التي اشتهر بها خلال الأشهر الأخيرة في المملكة.




(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة




من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبّة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسرّبت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حياه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).

(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟




من يتآمر على الآخر؟!

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد. وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية



بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن

حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها؛ جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



أزياء حجازية